

رحلة ابن زكور الفاسي
المتوفى: (1120هـ / 1708م) المسماة:

نشر أزهـر البستان
فيمن أجازني بالجزائر وتطوان
من فضلاء أكابر الأعيان

قال الإمام العلامة الشيخ أبو حامد محمد العربي بن يوسف بن أبي المحاسن :

[في الحض على الاعتناء بعلم التراجم والتاريخ]

«وكم من عالم عرّف برجاله، وأوسع الخطو في مجاله، فإن لم تكن من تلك الحلبة؛ فقد شملنا تلك الألبة، فلنا بذلك اكتفاء، وحسبنا اتباع واقتفاء.

ولم يكتفوا بما أدوا من الواجب، وأبدوا في ذلك دون حاجب، حتى أزروا بمن أقصر عن أدائه، أو قصر في إبدائه، ووسموا المغاربة بالإهمال، ودَفَنهم فضلاتهم في قبري تراب وإخمال، فكم فيهم من فاضل نبيه؛ طوى ذكره عدم التنيه؛ فصار اسمه مهجورًا، كأن لم يكن شيئًا مذكورًا.

وإذا كان التنيه من الواجب؛ فمم يعجب العاجب؟

”مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن“ صفحة 98

ومن باب إبعاد ووأده هذه المقولة التي هي صحيحة في الواقع، نهدي هذا العمل المتواضع لمحبي التراث، وإلى كل القراء والباحثين في العالم العربي والإسلامي.

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا
تفرج هم واكتساب معيشة
فإن قيل في الأسفار هم وكربة
فموت الفتى خير له من مقامه
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
وعلم وآداب وصحبة ماجد
وقطع فياف واقتحام شدائد
بأرض عدو بين واش وحاسد

وقال كذلك:

سافر تجد عوضا عن تفارقه
إني رأيت وقوف الماء يفسده
والشمس لو وقفت في الجودائمه
والأسد لولا فراق الغاب ما افترست
والتبر كالترب ملقى في معادنه
واتعب فإن لذيذ العيش في التعب
إن ساح طاب، وإن لم يجر لم يطب
لملها الناس من عجم ومن عرب
والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والعود في أرضه نوع من الحطب

الديوان

إهداء

إلى كل غيور على التراث العربي عامة ، والمغاربي خاصة نهدى هذه الدرر النفيسة التي ظلت حبيسة الخزائن فلم يستقد منها - على قيمتها العلمية والتاريخية الكبيرة - إلا النادر القليل من المهتمين بالتراث .

وإن كنا شاكرين لأحد ، فلاننسى أن نشكر من وجدنا عنده نص الرحلتين : رحلة الشيخ أبي حفص عمر الأكبر بن عبد القادر التواتي الجزائري ، ورحلة عبد الرحمن بن إدريس التواتي الجزائري ، وهو الشيخ العلامة محمد باي بلعالم التواتي الجزائري ، وكاتبه : عبد الله حامد الأمين ، الذي مكثنا من تصوريهما ، فجزاهما الله عنا كل خير ، وجعلهما خير قدوة لكل مالك لهذه الدرر من التراث بذلها للباحثين للإفادة منها ، والله المسؤول أن يتقبل منا ومنهم ومن جميع من ساهم في إخراج الكتاب .

وكتب المحققان:

سطيف الجزائر، بتاريخ: 01 / 01 / 2009

Histoire1919@live.fr

رحلة ابن زكور الفاسي
المتوفى: (1120هـ / 1708م) المسماة:

نشر أزهـر البستان
فيمن أجازني بالجزائر وتطوان
من فضلاء أكابر الأعيان



تمهيد

يعتبر فن الرحلات من الفنون الأدبية الراقية التي اهتم بها العرب قديما وحديثا، لما فيها من أخبار، وغرائب، ومشاهدات، ومساجلات، ومناظرات، عاشها مؤلفوها، فكانت تستجلب القراء بفضول إلى معرفة الآخر، والبلدان البعيدة وأخبار سكانها. عرفت الرحلة في الأدب العربي، منذ فجر النهضة، كفن أدبي بعدما كانت مجرد ممارسة في الجاهلية تجارة أو بحثا عن كلاً أو ماء.

وقد بدأ العرب بعد الفتح الإسلامي يتطلعون إلى ما وراء الجزيرة العربية، بل تمكن منهم الشوق إلى معرفة مختلف الأوطان، ما فتح منها، وما لم يفتح، قرب أو بعد. فلم تلبث الرحلة حتى صارت فناً عربياً أصيلاً في النثر العربي بسماته التاريخية والجغرافية، واهتمامه بحياة الناس وتقاليدهم، وأنماط عيشهم، وبمضمونه الفكري والاجتماعي، وأسلوبه الأدبي المتميز غالباً عما سواه.

ويبرز التنوع في الرحلات، لا بمستواها الأدبي فحسب، بل بمنحائها التاريخي أو الجغرافي أو الإثنوغرافي في قوالب يتآزر فيها الجانب التعليمي بالإمتاع الأدبي.

إن فن الرحلة في أصله له اتصال متين بالجغرافية، إذ الكتب الأولى المؤلفة في هذا العلم كانت تتخذ صبغة الرحلة، وذلك أن الجغرافي كان أولاً يطوف البلاد التي يود التكلم عليها، وتخرق مسالكها ويقف بنفسه على أحوالها، ثم يضع بعد ذلك

كتابه؛ لذلك سميت جل التآليف الجغرافية التي كتبت في القرون الأولى، "المسالك والممالك" وصارت هاتان الكلمتان تطلقان على علم الجغرافية عند العرب، كما سموه أيضا علم تقويم البلدان، والفرق بين كتب الرحلات وبين كتب المسالك والممالك، هو أن مؤلف الرحلة يذكر فيها ما يتعلق بنفسه، فينبه مثلا على تاريخ خروجه من وطنه، وعلى الأحوال التي أحاطت بسفره، مع الإشارة لأسبابه، ويثبت كل ما يقع له من حوادث أثناء غيبته؛ وأما مؤلف المسالك والممالك فإنه يكتفي بذكر المسافات ويوصف البلاد التي يمر بها من الناحية الزراعية والتجارية، ويوصف أحوال الممالك السياسية والعمرانية، ولا يتعرض لنفسه إلا في القليل⁽¹⁾.

وقد قطع فن الرحلة في الأدب العربي مسيرة طويلة، منذ انطلاقة الأولى على يد أبي العباس أحمد بن يعقوب المعروف باليعقوبي بكتابه: «البلدان».

ثم يأتي البيروني في فترة زحرت فيها الرحلة بإبداع وتطور كحركة باتت ذات استقلالية، كنوع أدبي، وسرعان ما يعم هذا اللون منطقة الغرب الإسلامي، فيستلم المشعل الإدريسي بكتابه المتميز المعروف: «نزهة المشتاق في اختراق الأفاق» لغزارة مادته في جغرافية المغرب وصقلية.

وجاءت بعده شخصية أخرى معتبرة وهو ابن جبير بعمله المعروف: «رحلة ابن جبير»، وقد خطت الرحلة بعده خطوات متقدمة، خصوصا برحلة ابن بطوطة الذي عبر أوطانا وقارات؛ فاحتلت رحلته أهمية كبيرة باتساع رقعتها أولا وبمستواها الأدبي ثانيا، وبما حظيت به من اهتمام عالمي في النهاية.

وقد جاء بعد ابن بطوطة؛ الحسن بن محمد الوزان المعروف باسم: (Léon L'Africain) الذي ضاقت مساحة رحلته: (وصف إفريقيا) (Description de L'Afrique) عن سابقها، ولكنها أخذت أهميتها بالخصوص من شخصية صاحبها

1. محمد الفاسي، الرحالة المغاربة وآثارهم، مجلة دعوة الحق، ع 2، السنة الثانية 1958.

وحياته التي عرفت اضطرابات كثيرة خاصة بعد أسره، لذلك تعتبر رحلته ذات أهمية بموضوعها وبالظروف التي كتبت فيها، لأنه جاء في فترة وظرف حيث يكاد يعدّ بوجه عام آخر المؤلفين الكبار، في محيط الجغرافيا العربية ببلاد المغرب، وهو بذلك خاتمة فترة أدب الرحلة قبل عصر النهضة.

وبعد ركود، خصوصا في القرن العاشر الهجري (16م)، عادت الرحلة للانتعاش في القرنين الحادي عشر والثاني عشر من الهجرة، فاستأنفت منطقة المغرب العربي الإسلامي دورها، في فن الرحلة، بأعلام مثل: أبي سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر المعروف بالعيشي في رحلته المعنونة: «ماء الموائد» المعروفة بـ: «الرحلة العياشية»، بحيث يعتبر نموذجا لجميع مؤلفي تلك الفترة الذي لم يطرأ فيها أي تقدم في الميدان، وينتهي القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري (18 و19) برحلات ابن حمادوش والورثاني⁽¹⁾، وأحمد الناصري، وابن عمار، وأبي راس الناصري، وغيرهم وهم كثر.

وقد تفوق المغاربة في هذا الفن ووضعوا فيه مؤلفات بديعة طبع بعضها وأكثرها لا يزال مخطوطا، ومنها ما تعتبر ضائعة ولا تعرف إلا بالنقل عنها في كتب التاريخ والأدب والتراجم.

ويسرنا من باب إحياء التراث المغربي، أن نقدم للقراء ثلاثة تحف من تراثنا ألا وهي رحلة ابن زاكور الفاسي المغربي إلى الجزائر العاصمة، في حلة جديدة بعدما ما مضى على طبعها أكثر من قرن.

ورحلة أبي حفص التنلاني الجزائري إلى فاس، ورحلة عبد الرحمن بن إدريس التنلاني التواتي الجزائري إلى الجزائر العاصمة، والتي شاهد فيها قبلة الإنجليز لعاصمة الجزائر، اللتان كانتا في طي النسيان.

(1) اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، عمر بن قينة 11.

ترجمة المؤلف

اسمه: هو محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد⁽¹⁾ بن أحمد⁽²⁾، أبو عبد الله بن زاكور الفاسي.

كنيته: أبو عبد الله.

لقبه: عرف بابن زاكور.

نسبته ونسبه: الفاسي نسبة لمدينة فاس.

قال العلامة النسابة الشريف عبد الكبير بن هاشم الكتاني: بيت أولاد ابن زاكور معروف بفاس، تقدم فيهم العلماء والعدول وأهل الثروة وغيرهم، وهم فرق كثيرة. ومنها: فرقة الفقيه العلامة المشارك في المعقول والمنقول صاحب الطول في الفقه والحديث والأصول المؤرخ محمد بن قاسم بن زاكور⁽³⁾.

وقال ابنه العلامة النسابة محمد بن عبد الكبير بن هاشم الكتاني: لا يخفى على من له اطلاع في قبائل هذه الحضرة الفاسية أن قبيلة أولاد ابن زاكور، من أشهر بيوتات فاس، قديما وحديثا، ومدة استيطانهم بها بما يزيد على الأربعمائة سنة، سلفت عن

(1) رحلة ابن زاكور ص 55.

(2) النبوغ المغربي 1 / 313.

(3) زهر الآس 1 / 459.

تاريخه (أي ابن زاكور)، حسب أفادني بذلك مطالعة الرسوم القديمة لأصول سكان هذه الحضرة الفاسية⁽¹⁾.

ولادته:

ولد أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن زاكور الفاسي بمدينة فاس، في سنة غير معلومة من بداية الربع الأخير من القرن الحادي عشر [11 هـ]، كما استنتج الأستاذ عبد الله كنون⁽²⁾.

ولم يذكر أحد من المؤرخين أو من ترجموه سنة ولادته، بل توجد هناك بعض الاجتهادات في تحديد سنة ولادته.

فالمستشرق الفرنسي ليفي بروفنصال يحددها في حوالي منتصف القرن السابع عشر ميلادي [17 م] أي سنة 1650 م الموافق لسنة 1060 هـ⁽³⁾.

والباحث الأديب المؤرخ عبد الله كنون يحددها بالربع الأخير من القرن الحادي عشر هجري [11 هـ]، أي سنة 1075 هـ الموافق لـ: 1664 م.

أما الأستاذ محقق كتاب: «تزيين قلائد العقيان بفرائد البيان» فحدد سنة ولادته بالتقريب سنة 1079 هـ الموافق لسنة 1668 م، ابتداء من سنة وفاة شيخه عبد القادر الفاسي سنة 1091 هـ حيث قال: ويبدو أن قدراته العقلية الممتازة وذكاءه المفرط، قد ساعده على حفظ القرآن وبعض المتون العلمية الضرورية، كألفية ابن مالك، والآجرومية، ومنظومة ابن عاشر، ورسالة القيرواني وغيرها، في سن مبكرة، الشيء الذي أهله لحضور مجالس بعض الشيوخ الكبار في مدينة فاس، أمثال سيدي عبد القادر

(1) تحفة الأكياس 2 / 378.

(2) تزيين قلائد العقيان بفرائد البيان 1 / 9.

3) Provençal Lévi, Les Historiens des Chorfa, p 287.

الفاصي (1007هـ / 1091 هـ) الذي كان يتردد على مجلسه العلمي منذ صباه، قصد التبرك به والاستفادة من دروسه، كما نفهم من قوله (أي في رحلته):
«فأما البحر الزاخر، والطود الشامخ الراسي، الحبر الماهر: مولانا أبو محمد سيدي عبد القادر الفاسي - رضي الله عنه وأرضاه، وبديع المغفرة والرضوان أسقاه-، فقد كنت أجلس لسماعه متبركا، أيام كنت في أحلام الصبا مرتبكا، وأزور مجلسه العالي...».

وإذا علمنا أن وفاة الشيخ المذكور، قد كانت حدود سنة 1091 هـ / 1680 م، ندرك أن سنه كانت حينذاك لا تتجاوز الثانية عشر على أكثر تقدير⁽¹⁾.
أما الأستاذ هاشم العلوي القاسمي، فيحدد سنة ولادته في أواسط القرن (11 هـ). أي سنة 1050 هـ الموافق لسنة 1640 م⁽²⁾.

أما محمد بن تاويت فذكر تاريخ ميلاده ب: 1076 هـ الموافق 1665 م⁽³⁾.
من خلال ما نقلت يمكن القول: أن ابن زاكور عند وفاة شيخه عبد القادر الفاسي كان عمره حوالي 15 سنة تقريبا، ونحن نعلم أنه رحل إلى الجزائر أوائل سنة 1094 هـ، أي كان عمره حينئذ 18 سنة.

أما التاريخ الذي ذكره الأستاذ ليفي بروفنصال أي سنة 1060 هـ، والأستاذ هاشم العلوي سنة 1050 هـ، والأستاذ بوتشي السكيوي سنة 1079 هـ، فمستبعد، لعدة أمور، فنحن نعلم حين قدومه للجزائر أوائل سنة 1094 هـ، كان عمره 34 سنة، على رأي ليفي بروفنصال، و44 سنة على رأي هاشم العلوي و15 سنة، على رأي بوتشي السكيوي، فنجد شيخه أبا حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المانجلاتي في إجازته

(1) تزيين قلائد العقيان بفرائد التبيان (1 / 9).

(2) التقاط الدرر 304.

(3) الأدب المغربي 320.

له ينعته بـ: «بالشباب الأديب الأريب الحاذق اللبيب»⁽¹⁾، والشباب المتعارف عليه، هو ما كان في سن ما بعد السابعة عشر، والله تعالى أعلم.

أما طرح الأستاذ هاشم العلوي القاسمي 44 سنة، وليفي بروفنصال 34 سنة، فمستبعد جدا لأنه لا يقال كذلك لإنسان عمره سنة (1094 هـ) 44 سنة، أو 34 سنة، «بالشباب الأديب» وعرف أهل المغرب يأبى ذلك.

و نعلم كذلك أنه كان ينظم الشعر الجيّد منذ سنة 1092 هـ، ويقدم على التأليف سنة 1095 هـ⁽²⁾.

ونظم الشعر الجيد يصلح بشباب عمره سنة 1092 هـ 16 سنة لا بطفل عمره 12 سنة أو 13 سنة، عام 1092 هـ.

ومن كل هذه الآراء يمكن القول أن سنة ولادة ابن زاكور بالتقريب هي سنة [1076 هـ / 1665 م].

والأقرب إلى الصواب هو قول الأستاذ عبد الله كنون، ومحمد بن تاويت.

نشأته:

وعلى الرغم من انعدام المعلومات الدقيقة عن أسرته ومستواها الاجتماعي والثقافي، وسكوت كل المصادر التي ترجمت له، أو أشارت لجوانب من حياته، بما فيها مؤلفاته، عن مرحلة تكوينه الأولى، فإننا نستطيع التصور بأن أسرته قد اهتمت بتربيته وتعليمه منذ نعومة أظفاره، ويبدو أن قدراته العقلية الممتازة وذكائه المفرط قد ساعده على حفظ القرآن وبعض المتون العلمية الضرورية، كـ: «ألفية» ابن مالك، و«الأجرومية»، ومنظومة ابن عاشر، و«رسالة» القيرواني وغيرها في سن مبكرة،

(1) رحلة ابن زاكور 8.

(2) تزئين قلائد العقيان 1 / 10.

الشيء الذي أهله لحضور مجالس بعض الشيوخ الكبار بمدينة فاس، أمثال عبد القادر الفاسي⁽¹⁾.

بدأت بشائر نبوغ ابن زاكور مبكرا إذ وجدناه ينظم الشعر الجيد سنة 1092 هـ، ويقدم على التأليف سنة 1095 هـ، وقد تألق له ذلك بفضل كده واجتهاده، وحرصه الشديد على أخذ العلم من أفواه أشهر علماء عصره، وملازمة حلقات دروسهم، والارتواء من مختلف علومهم بشغف منقطع النظير، سواء في فاس أم في تطوان أم في الجزائر، لذلك لا نستغرب إذا وجدنا من يقول عنه أنه: «كان يحفظ عدة تأليف منها: «تلخيص المفتاح»، و«جمع الجوامع» لابن السبكي، و«مختصر خليل»، و«كافية ابن مالك» و«تسهيله»، و«كافية ابن الحاجب»، هذا بالإضافة إلى إحرازه عدة إجازات علمية موثقة، من طرف شيوخه الذين يشهدون له فيها بالإتقان لكثير من الكتب العلمية الأخرى والتفوق فيها⁽²⁾.

ففي الجزائر يجتم جمع الجوامع من حفظه على شيخه أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المانجلاتي، ويمنحه إجازة في ذلك⁽³⁾، ويجتم على شيخه أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري «نظم أبي إسحاق التلمساني» في الفرائض، وصدرا من كتاب «جمع الجوامع» للتاج السبكي، وبعضا من «تلخيص المفتاح»، ويمنحه إجازة في ذلك⁽⁴⁾.

ويسمع من الحديث جملة وافية من «الجامع الصغير»، وأبو ابان من «صحيح البخاري» على شيخه أبي عبد الله محمد بن سعيد بن إبراهيم قدورة ويجيزه في ذلك⁽⁵⁾.

(1) تزيين قلائد العقيان 1 / 9 .

(2) تزيين قلائد العقيان 1 / 10 .

(3) رحلة ابن زاكور ص 8-5 .

(4) المصدر نفسه 16-11 .

(5) المصدر نفسه 27 - 28 .

وبتطوان قرأ على شيخه علي بن محمد بن بركة الأندلسي «شرح جمع الجوامع» للإمام جلال الدين المحلي، و«ألفية الإمام أبي عبد الله جمال الدين بن مالك»، و«مختصر الإمام خليل»، و«تحفة ابن عاصم»، و«صحيح البخاري»⁽¹⁾.

وبمدينة فاس لازم شيخه أبا عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي، والإمام العلامة أبا علي الحسن بن مسعود اليوسي لما ورد فاس سنة 1095 هـ، والإمام أبا البركات أحمد بن الحاج الذي ختم عليه «مختصر الشيخ خليل»⁽²⁾.

ونجده كذلك يطلب الإجازة في الطب من شيخه أبي العباس أحمد بن إبراهيم العطار الأندلسي، وينظم في ذلك أبياتا يطلب فيها قراءة «أرجوزة» ابن سينا⁽³⁾.

وممن أجازاه كذلك: أبو عيسى المهدي بن أحمد بن علي الفاسي صاحب «مطالع المسرات»⁽⁴⁾.

تصدر ابن زاكور للتدريس بفاس منذ شبابه، وهذا ما يؤكد تلميذه ابن الطيب العلمي في قوله عنه: جلس للإقراء في شبابه، فأتى بيت التدريس من بابه، وتأسى في الصلاح بأربابه، ولم يصب لربوبه ولأربابه (كذا)، فتكلم في المذهب، وذهب في التحقيق كل مذهب، وأوجز ما شاء وأسهب، وطاول في الفروع ابن القاسم وأشهب، وخاض في المعقول، فبهر العقول، ووقف التحقيق عند ما يقول، وتصدر في السيرة، وأحكام القرآن وتفسيره، وحرر حرز أمانيه⁽⁵⁾ وتيسيره⁽⁶⁾، ونجا في الرواية

(1) المصدر نفسه 55.

(2) المصدر نفسه 63 - 64 - 65 - 66.

(3) صفوة من انتشر 355.

(4) فهرس الفهارس 1 / 186.

(5) يقصد القصيدة اللامية المسماة: بحر الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع للإمام القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي، توفي سنة 590 هـ، انظر الزركلي 5 / 180.

(6) يقصد كتاب التيسير في القراءات السبع للإمام عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، توفي سنة 444 هـ انظر الزركلي الأعلام 4 / 206.

من الغواية، وألّف في الأصول ما لم يزل به بين الأقران يصول، وقام للعرض بالنوافل والفروض، ففكّ منه الدوائر، واختار المراقبة فبرئ من المعاقبة⁽¹⁾.

فهذه الشهادة الصريحة، ذات الدلالات العميقة والقوية على مدى تنوع ثقافة الرجل وشموليتها، وعلى مدى تضلعه في مختلف العلوم والفنون، وخاصة في مجالي: اللغة والأدب، وما يتعلق بهما من بلاغة وعروض، وقد تجلّت مظاهر هذه الثقافة الموسوعيّة عنده، وهذا الميل الواضح إلى علوم اللغة والأدب في إنتاجه الغني، ومضامين معظم مؤلفاته الجيّدة، سواء من حيث الموضوعات، أو من حيث طريقة التأليف⁽²⁾.

وتفوّق ابن زاكور في المجال الأدبي يرجع في الغالب إلى اجتهاده الخاص، وانكبابه على مطالعة المؤلفات الأدبية المختلفة، ودواوين الشعراء، وحفظ عيون القصائد الشعرية، منذ صباه، وهذا ما يفسر نبوغه المبكر في نظم الشعر الجيد، وكتابة النثر الفني الرفيع، وقد ساعده على ذلك وشجعه ثلة من الأدباء والشعراء، الذين التقى بهم أثناء رحلته إلى تطوان ثم الجزائر⁽³⁾ ومراكش وسلا، والعرائش وزرهون ومكناس وشفرو وغيرها⁽⁴⁾.

كان ابن زاكور متفوقا على أقرانه في تدريس الكثير من العلوم والفنون، بارعا في تلقينها، وحلّ مقفلاتها وتيسير فهمها، بمنهج الأستاذ الخبير، والعالم المتمكن، والأديب المتذوّق، وهذا ما جعله محببا إلى قلوب طلابه والآخذين عنه، ويمكن استنتاج هذا من خلال تسجيل بعض المؤرخين لتاريخ إنهائه لقراءة «تلخيص المفتاح»، وإدراجه ضمن الأحداث التاريخية البارزة.

(1) تزيين قلائد العقيان 1 / 10 .

(2) المصدر نفسه 1 / 11 .

(3) المصدر نفسه 1 / 12 .

(4) المصدر نفسه 1 / 14 .

قال الضعيف الرباطي: «وختم قراءة «تلخيص المفتاح»، -بعون الله الواحد
الفتاح-، الإمام العلامة سيدي محمد بن قاسم بن زاكور، يوم الأربعاء آخر صفر
الخير من سنة إحدى عشر بعد المائة والألف 1111هـ⁽¹⁾.

شيوخه:

للمترجم شيوخ عدّة أخذ عنهم أثناء رحلاته إلى الجزائر وتطوان ومسقط رأسه
فاس وهم:

1- أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المانجلاتي الجزائري توفي سنة
[1104هـ / 1692م].

2- أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري توفي [بعد سنة 1094هـ /
1682م].

3- أبو عبد الله محمد بن سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري توفي سنة [1107هـ
/ 1695م].

4- أبو الحسن علي بن محمد بركة توفي سنة [1120هـ / 1708م].

5- أبو محمد عبد القادر الفاسي توفي سنة [1091هـ / 1680م].

6- أبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي توفي سنة [1116هـ / 1704م].

7- أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي توفي [1102هـ / 1690م].

8- أبو محمد العربي بن أحمد بردلة توفي سنة [1133هـ / 1720م].

9- أبو البركات أحمد بن العربي بن الحاج توفي سنة [1109هـ / 1697م].

(1) تزيين قلائد العقيان 1 / 14 - 15.

- 10 - أبو عبد الله محمد بن أحمد القسنطيني توفي سنة [1116هـ / 1704م].
- 11 - عبد السلام القادري الحسني توفي سنة [1110هـ / 1698م].
- 12 - أبو عيسى محمد المهدي بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي توفي سنة [1109هـ / 1697م].
- 13 - إبراهيم العطار الأندلسي توفي سنة [1105هـ / 1693م].
- 14 - سعيد بن أبي القاسم العميري المكناسي توفي سنة [1131هـ / 1718م].
- 15 - عبد الرحمن بن محمد المدعو الرايس توفي سنة [1109هـ / 1697م].
- 16 - أبو عبد الله بن خليفة الجزائري توفي سنة [1094هـ / 1682م].

تلامذته:

- 1 - محمد بن عبد السلام البناني توفي سنة [1163هـ / 1749م].
- 2 - أبو عبد الله محمد بن الطيب العلمي الحسني توفي سنة [1170هـ / 1756م].

أقوال العلماء فيه:

نال ابن زاكور إعجاب أهل عصره من شيوخ وتلاميذ، لقوة حفظه وذكاءه المفرط. فقد وصفه شيخه: أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المانجلاتي بـ: «... الشاب الأديب، الأريب الحاذق اللبيب...»⁽¹⁾.

كما قال عنه شيخه محمد بن محمد بن عبد المؤمن الجزائري: «...الفقيه النبيه، العالم الوجيه اللذوعي الأوحد، جامع الفضائل التي لا تجحد...»⁽²⁾.

(1) رحلة ابن زاكور 8.

(2) المصدر نفسه 16.

وقال عنها أبو عبد الله محمد بن السعيد بن إبراهيم قدورة: «...العلامة النحرير»⁽¹⁾.

كما حلاه شيخه علي بن محمد بن بركة بقوله: «...الجهيد الأريب، المصقع الأديب، الثقف اللقن، المتفنن، المشارك المتقن، الفقيه النبيه، الزكي الوجيه، ذو الفضل المعروف غير المنكور...»⁽²⁾.

وقال عنه العلامة الأديب المؤرخ محمد بن الطيب بن أحمد بن يوسف بن الشريف العلمي الحسيني الإدريسي: «...الأديب أبو عبد الله محمد بن قاسم بن زاكور، ووحيد البلاغة، وفريد الصياغة، الذي أرسخ في أرض الفصاحة أقدامه، وأكثر وثوبه على حلّ المقفلات وإقدامه، فتصرف في الإنشاء، وعطف إنشاءه على الإخبار، وإخباره على الإنشاء، وقارع الرجال في ميادين الارتجال، وثار في معترك الجدال، ما شاء وجال، فهو الذي باسمه في الأوان هُتف، وهو الذي يعرف في كل العلوم من أين تؤكل الكتف...»⁽³⁾.

وحلاه المؤرخ محمد بن الطيب القادري بـ: «...العالى العلامة الأديب القوال، الصالح الخير الجوال، الناظم البارع المشهور...»⁽⁴⁾.

وقال عنه عبد السلام القادري: «...الفقيه الأديب البارع النحوي اللغوي المجيد الأوحد، ذو التأليف العديدة والأنظام الكبيرة المفيدة...»⁽⁵⁾.

وقال عنه ابن عبد الله محمد الطالب بن أبي الفيض حمدون ابن الحاج: «...العلامة الأديب اللغوي...»⁽⁶⁾.

(1) المصدر نفسه 28.

(2) المصدر نفسه 55.

(3) الأنيس المطرب مخطوط ورقة 12.

(4) نشر المثاني 5 / 1937.

(5) المورد الهني 94.

(6) رياض الورد 2 / 37.

وقال عنه الشريف عبد الكبير بن هاشم الكتاني : «...الفقيه العلامة المشارك في المعقول والمنقول، صاحب الطّول في الفقه والحديث والأصول، المؤرخ الحافظ للمختصرات والدواوين...»⁽¹⁾.

وقال عنه محمد بن عبد السلام البناني: «...شيخنا العلامة المحقق المدقق، الأديب الشاعر المفلق، صاحب التأليف العجيبة، والتصانيف الأنيقة....»⁽²⁾.

كما نختم بثناء ومدح شيخه -علامة عصره-، أبي علي الحسن اليوسي، لما طلب دواءات⁽³⁾ في سفر، وصاحب الترجمة معه، فوجدها عنده مهياً على أحسن ما ينبغي فامتدحه بقوله⁽⁴⁾:

لله در ابن زاكور وشيمته وما أعدّ لجمع العلم من عدد

وقال عنه ابن مخلوف: «الإمام الفقيه العالم المشهور، شيخ الشيوخ وعمدة أهل التحقيق والرسوخ، ووحيد البلاغة، وفريد الصياغة، المتفنن في العلوم، الحامل لواء المنثور والمنظوم»⁽⁵⁾.

مؤلفاته:

ترك ابن زاكور آثاراً علمية قيمة في شتى الميادين، وقد أحصاهم بوتشي السكيوي محقق كتاب: «تزيين قلائد العقيان بفرائد التبيان» فقال:

(1) زهر الآس 1 / 459.

(2) رحلة ابن حمادوش 58.

(3) كذا في الأصل ولعلها: الدواة.

(4) نشر المثاني ص 1938.

(5) شجرة النور 330.

1 - تراجم وتاريخ

- أ - الاستشفاء من الألم في التلذذ بذكر صاحب العَلَم⁽¹⁾. (في نسب المولى عبد السلام بن مشيش وذكر ما له من أولاد).
- ب - نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، فهرسته ذكر فيها شيوخه في الجزائر وتطوان، وبعض شيوخه في فاس).
- ج - المعرب المبين عما تضمنه الأنيس المطرب وروضة النسرين⁽²⁾.

2 - حديث وأصول

- أ - الحلة السيرة في حديث البراء⁽³⁾.
- ب - معراج الوصول إلى سماوات الأصول⁽⁴⁾. (شرح لورقات إمام الحرمين في الأصول).

3 - طب

- الدررة المكنوزة في تذييل الأرجوزة⁽⁵⁾. (تذييل لأرجوزة ابن سينا في الطب).

(1) ما زال مخطوطا بالخرزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 3585. ويبدو أن ابن زكور قد ألف هذا الكتاب استجابة لطلب «المولى إسماعيل» الذي طلب فيه من علماء فاس أن يحققوا نسب الشرفاء أولاد مولاي عبد السلام بن مشيش. انظر رسالة المولى إسماعيل إلى سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي في مجلة تطوان (عدد خاص بالمولى إسماعيل) ص 42 - 43.

(2) طبع بفاس دون تاريخ، كما طبع بروما عام 1787 م (عن الموسوعة المغربية)، وتوجد منه عدة نسخ خطية بالخرزانة العامة بالرباط تحت رقم 1428 د، 905 د...

(3) يذكر في المصادر ولكن لا يعرف مكان وجوده حتى الآن.

(4) لا يعرف مكان وجوده.

(5) لا يعرف مكان وجوده.

4 - توقيت

- الروضة الجنية في ضبط السنة الشمسية. (أرجوزة في التوقيت، وحساب أيام العام)⁽¹⁾.

5 - أدب ولغة

- أ - الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض⁽²⁾. (ديوان شعر).
ب - الحسام المسلول في قصر المفعول على الفاعل والفاعل على المفعول⁽³⁾.
ج - أنفع المسائل في أبلغ الخطب وأبدع الرسائل⁽⁴⁾.
د - عنوان النفاسة في شرح ديوان الحماسة⁽⁵⁾.

(1) لا يعرف مكان وجوده.

(2) حققه د. العربي الحمداوي، رسالة جامعية مازالت مرقونة بكلية آداب فاس. وأعاد تحقيقه مرة أخرى الأستاذ محمد بن الصغير من أجل نيل دبلوم الدراسات العليا من كلية آداب الرباط، وما زال مرقونا بخزانتها.

(3) يذكر في المصادر ولكن لا يعرف مكان وجوده حتى الآن. ويبدو أنه كتاب مهم، ولذلك ذكره الضعيف الرباطي ضمن الأحداث البارزة لسنة 1103 هـ، قال: «وفي يوم الجمعة سابع ربيع الثاني من سنة ثلاثة بعد مائة وألف، فرغ الفقيه العلامة سيدي محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد الفاسي المعروف بابن زاكور من شرحه «الحسام المسلول لتحقيق معنى قصر المفعول على الفاعل والفاعل على المفعول»، انظر تاريخ الضعيف 75، (تحقيق الأستاذ أحمد العمري) ط. 1 سنة 1986 دار المأثورات.

(4) تذكره المصادر ولكن لا يعرف مكان وجوده حتى الآن.

(5) سجله منذ سنوات محمود محمد عيسى لينال بتحقيقه دبلوم الدراسات العليا بالرباط، بإشراف الدكتور عزة حسن، حسب ما ورد في مجلة أخبار التراث العربي، العدد الأول ص. 27، والعدد التاسع ص. 23. غير أنه فيما يبدو أنه تخلى عنه. وقد أخبرني الأستاذ الكاظمي أن بعض الطلبة قد سجلوه مشتركين بكلية اللغة العربية بمراكش منذ حوالي ثلاث سنوات، لينالوا بتحقيقه الدكتوراه الوطنية بإشرافه. وتوجد منه نسخة مخطوطة بالخرزانة الحسنية، القسم الأول تحت رقم 77، والقسم الثاني تحت رقم 354. ويوجد القسم الثاني منه في خزانة الوثائق العامة بالرباط ميكروفيلم حمزاوية، تحت رقم 165.

هـ - تزيين قلائد العقيان بفرائد التبيان⁽¹⁾.

و - الجود بالموجود في شرح المقصور والممدود⁽²⁾. (المقصور والممدود لابن مالك).

ز - تفريج الكرب في شرح لامية العرب⁽³⁾. (لامية العرب للشنفرى).

ح - النفحات الأرجية والنسمات البنفسجية بنشر مارق من مقاصد الخزرجية⁽⁴⁾.

(وهو شرح لمتن القصيدة الخزرجية في علم العروض لضياء الدين الخزرجي).

ط - الصنيع البديع في شرح الحلية ذات البديع⁽⁵⁾. (بديعية صفى الدين الحلي).

ي - تقييد في شرح أبيات الحماسة⁽⁶⁾.

وذكر له الشيخ خير الدين الزركلي كتابا آخر بعنوان : «إيضاح المبهم من لامية

العجم» ثم قال : «... مع شرحها عندي»⁽⁷⁾. كما ذكر له الأستاذ عبد العزيز بن عبد

الله كتابا بعنوان : «كفاية اللبيب في التوقيت بعمل النسبة والجيب»⁽⁸⁾.

(1) ذكره ابن الطيب العلمي بعنوان «مقياس الفوائد في شرح ما خفي من القلائد»، وبه سماه المتأخرون لاسيما المعاصرين نقلا عنه. ولست أدري من أين أخذ العلمي هذا الاسم، مع أن ابن زكور قد عنونه في مقدمته بـ «تزيين قلائد العقيان بفرائد التبيان». وقد ذكر بهذا الاسم في كل نسخ الكتاب التي اطلعت عليها.

(2) تذكره المصادر ولكن لا يعرف مكان وجوده حتى الآن.

(3) طبع مع شروح أخرى للامية نفسها، لكل من الزمخشري، والمبرد، والعكبري، وابن عطاء المصري، ضمن كتاب بعنوان : بلوغ الأرب في شرح لامية العرب، جمع وتحقيق : محمد عبد الحكيم القاضي ومحمد عبد الرزاق عرفان. دار الحديث 1989. وله نسخ مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط، من بينها : نسخة تحت رقم 157 د ضمن مجموع، وأخرى تحت رقم 2136 د.

(4) ما زال مخطوطا بالخزانة العامة بالرباط، ضمن مجموع تحت رقم 1081 د، 2133 ك.

(5) تم تحقيقه على يد الباحثة بشرى البداوي، التي نالت به دبلوم الدراسات العليا، بإشراف الدكتور علال الغازي. وقد طبع ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: رسائل وأطروحات رقم 53، سنة 2001 - 2002.

(6) ذكره في كتابه عنوان النفاسة، القسم الأول، ورقة 33 ط. مخطوط الخزانة الحسنية.

(7) انظر الأعلام 7 / 7.

(8) انظر الموسوعة المغربية للأعلام 1 / 110.

وأظن أنه عنوان آخر لأرجوزة «لروضه الجنية في ضبط السنة الشمسية». كما ذكر له كتابا آخر بعنوان: «شرح النصيحة الزروقية»، إلا أنه عقب بقوله: «نسبت له غلطا في فهرس مكتبة تطوان (483) وهي لمحمد بن عبد الرحمن بن زكري»⁽¹⁾.

وفاته:

اتفق المؤرخون ومن ترجم لابن زاكور على سنة وفاته باليوم والشهر، فقد ذكر تلميذه محمد بن الطيب العلمي أن وفاته: صبيحة يوم الخميس الموفي عشرين من المحرم الحرام سنة عشرين ومائة وألف [1120هـ / 1708م]، وتبعه جلّ من أتى بعده، كالقادري والكتاني وغيرهم.

وقد رثاه تلميذه الطيب العلمي بقوله:

قضى أخو النظم والنثر ابن زاكور فجاد دمعي بمنظوم ومثور

وللصاحب الشرقي في ذلك:

ما أنصف الموت في أخذ ابن زاكور لكن من الله تصريف المقادير

قد كان نور العين حين تبصره لما قضى بقيت عيني بلا نور²

تنبيه: ذكر ابن حمادوش الجزائري أن وفاته كانت سنة 1122هـ⁽³⁾، حين نقله لفهرس شيخه عبد السلام البناني في رحلته، ولم يقل بهذا أحد غيره، ولا ندر من أين الخطأ أمن عبد السلام البناني، أم من عبد الرزاق بن حمادوش حين نقله لفهرس شيخه أم من النساخ؟، -والله أعلم-.

(1) المصدر نفسه 1 / 111.

(2) الطيب العلمي، الأنيس المطرب مخطوط ورقة 22.

(3) رحلة عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري 58.

أدبه:

«لابن زاكور نثر علمي، وهو الذي نلمسه في كتبه العلمية «كشرح لامية العرب» و«شرح القلائد»، ونثر فني، وهو ما نجد في خطبه ورسائله ورحلته، ونثره تبدو فيه الأصالة والخيال المبدع، حتى لكأنه شعر منشور، وله ديوان من الشعر الجميل هو «الروض الأريض»، قلما نجد له مثيلاً في رونقه، وسلامة أسلوبه بين دواوين الشعراء المغاربة، والذين عاصروه منهم على الخصوص.

1 - شعره:

نلمس في شعره أنه شعر ينمُّ عن ذوق أدبي سليم، وملكة مطبوعة، ويقول الأستاذ كنون: «وأما شعره فممنه ما هو جميل رقيق...، ومنه شعر علمي قريب من أشعار الفقهاء».

2 - نثره:

نجد نثر ابن زاكور لا يختلف في سلامته وخفة روحه عن شعره، ويلتزم فيه السجع، ولا يطيل الفقرات إلا في النادر، كما أنه في استعاراته وتشبيهاته وبديعياته مقتصد غير مُفْرِط، وشخصيته تبدو في شعره أقوى منها في نثره⁽¹⁾.

كتابه الرحلة:

تنتمي رحلة ابن زاكور أدبياً إلى ما يسمى بـ: فهرسة الرحلة، فهي فهرسة تكتب في شكل رحلة، يسجل المؤلف ما رآه أثناء الرحلة، ويثبت فيها أسماء الشيوخ الذين لقيهم، وما استفاد في مجالسهم من علوم ومرويات، مع وصف جغرافي وتاريخي

(1) الأدب المغربي 321 - 323 - 324.

للمناطق التي يمرّ بها، وهي ذكر للشيوخ الذين لقيهم المؤلف، ومجمل ما استفاد من رواياتهم ونصوص إجازاتهم⁽¹⁾.

طبعت رحلة ابن زاكور لأول مرة بالجزائر سنة 1902م، أي مضى على طبعتها أكثر من قرن بمطبعة فونتانة في 69 صفحة، مع مقدمة في ثلاث صفحات خصصت لترجمة ابن زاكور.

وأقدم عبد الوهاب بن منصور على طبعتها أيضا بالرباط سنة 1967م، وطبعة الرباط صورة مطابقة لطبعة الجزائر، بدون تحليل أو تعليق أو فهرسة⁽²⁾، مع تقديم شحيح⁽³⁾.

كما قام الأستاذ مولاي بالحميسي بطبع الجزء الخاص بالجزائر سنة 1981م، وهو أقل من نصف الكتاب.

أهمية رحلة ابن زاكور:

تعد رحلة ابن زاكور من أهم المصادر التي غطت فترة من أزهى عصور الدولة العثمانية في الجزائر، فالأخبار التي ذكرها في رحلته عن أحوال الجزائر - وخاصة علمائها-، أمثال أبي حفص عمر بن محمد المانجلاتي الجزائري، وأبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري، وأبي عبد الله محمد بن سعيد بن إبراهيم بن حمودة الجزائري، وأبي عبد الله ابن خليفة، أصبحت مصدرا لمن أتى بعده كالحفناوي وعادل نويهض وغيرهم.

(1) الترغي، فهارس علماء المغرب 94 - 95.

(2) الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ص 19.

(3) انظر: د، أحمد الطريقي أحمد، الكتابة الصوفية في أدب التستاوتي 2 / 553.

ومن الأحداث المهمة التي ذكرها: الغارة الفرنسية على الجزائر، وتتميز للفائدة
نذكر تفاصيل المعركة كما جاءت في المصادر الغربية:

غارة الأميرال دو كين (Duquesne) يوم 28 أوت 1682 م:

بعد صلح نيمجين 1678 م وعودة الهدوء النسبي في القارة الأوروبية، عادت فرنسا
إلى سياسة القوة إزاء الجزائر، وبسبب أسر الفرنسيين لعدد من البحارة الجزائريين
ومطالبة الجزائر افتكاكهم، جرت مفاوضات رغبت فيها فرنسا بإضافة شروط جديدة
على اتفاق سنة 1666 م، وذلك بالنص على عدم استرقاق الأسرى الفرنسيين إذا
أرادوا وتستروا بالعمل تحت راية دولة أخرى، وامتدت المفاوضات حتى سنة 1680 م
واستقبل الـداي بعثة فرنسية وأبدى استعدادا طيبا للاتفاق، وقام بإطلاق سراح
الأسرى الفرنسيين، ولكن فرنسا رفضت تسليم الأسرى المسلمين فأعلنت الجزائر
الحرب، وبدأت السفن الجزائرية تهاجم السفن الفرنسية ملحقة بها أضرارا فادحة.

يقول المؤرخ الأمريكي جون ب. وولف في كتابه، الجزائر وأوروبا: «ففي سنة
1682 م أبحر أمير البحر دو كين على رأس أسطول عظيم متوجها إلى الجزائر، مع
الأوامر بتخريب المدينة عن آخرها. لقد كان الفرنسيون معتمدين على سلاح جديد،
وهو مدفع الهاون، الذي ابتدعه: س. رينو ديليكاجاري (S.Renau D'Elicagaray)،
وهو مدفع يطلق قذيفة ضخمة من المتفجرات على مسافة تقدر بـ: 700 تواز (Toises)
حوالي: 1.350 متر من المفروض أن تحطم أي بناية تكون في واجهة المتفجرات.

إن هذا السلاح سيستعمل عما قريب في الأراضي المنخفضة وفي جنوة، لفرض
الإرادة الفرنسية عن طريق الإرهاب، ولمعاينة أي عصيان للملك الفرنسي.

وصل أسطول دو كين إلى شرشال في 25 يوليو، فقبل هذه المدينة الصغيرة وأحرق

سفيتين.

وفي 29 يوليو كان أمام الجزائر، ورفض أن يتفاوض، لقد جاء لمعاينة الجزائر على مجازفتها في إعلان الحرب ضد فرنسا، واستمر قصف المدينة من 20 إلى 22 أغسطس، ثم يوم 26 أيضا، ولكنه لم يتسبب إلا في أضرار خفيفة، فقد سقطت القذائف دون هدفها نظرا لرداءة البارود، وفي 30 من الشهر أطلقت مدافع الهاون مائة وأربعين قذيفة أصابت المدينة، وفي الثالث من سبتمبر حاول الجزائريون الهجوم على السفن الحاملة للمدافع، ولكنهم أجبروا على التراجع. وطلب الداوي الشروط، ولكن دوكين رفض التفاوض، وفي الثاني عشر من سبتمبر أبحر الأسطول الفرنسي بعيدا مع نية الرجوع في الربيع الموالي.

إن القصف قد أودى بحياة حوالي 500 شخص وهدم حوالي 50 بناية. وعندما رجع الفرنسيون في السنة الموالية، كان دوكين خشنا خشونته السابقة، فقد رفض أن يقدم كرسيًا للقسيس فاشي (Vacher) الذي كان طاعنا في السن ومريضا، عندما جاءه القسيس المبعوث إلى السفينة عارضا عليه عروض المفاوضات من الداوي، بل إنه أهانه بقوله: "إنه كان تركيا أكثر منه مسيحيا. وقد رد عليه الأب فاشي فقط بقوله: "إنني قسيس".

والقصف الذي أعقب ذلك كان أكثر فعالية من قصف السنة الفارطة، وقد عرض بابا حسن أن يقبل أي شرط، وأرسل الرهائن إلى دوكين، وأعاد مئات من الأرقاء الفرنسيين بدون دفع الفداء، ولكن عندما تصعب دوكين في الشروط بطلبه دفع أموال طائلة كتعويض (قدره 700 ألف فرنك)، احتج بابا حسن بأنه لا يستطيع أن يوفر هذا المبلغ الكبير من النقود، وأثناء سوء التدبير الذي حدث بعد ذلك، عرض ميزو مورتو، وهو أحد الرهائن لدى الفرنسيين وأكثر الرياس تأثيرا أن يجد حلا لأي مشكل إذا ما سمح له فقط بالنزول إلى الرصيف، وقد فعل فجمع من حوله الرياس ومعظم المليشيا، واغتال بابا حسن، وجعل نفسه دايا منتخبا، ثم أعلن أنه سيقذف من أفواه المدافع كل الفرنسيين في الجزائر إذا استمر دوكين في القصف.

وعندما استأنف دو كين القصف، ربط الجزائريون القسيس فاشي وغيره من القساوسة والمواطنين الفرنسيين إلى هذا المدفع⁽¹⁾ وقذف بهم شذير مذر⁽²⁾.

وكان وضع دو كين صعبا، فالداي ميزو مورتو غير مستعد للتفاوض، واستمر القصف الذي أدى إلى إعدامات أخرى للفرنسيين.

أدت قبلة دو كين بأضرار للمدينة ولكنها لم تخرب، ويقال أن دو كين ذهب إلى فراشه وترك إدارة العمل إلى مساعديه الذين سرعان ما فقدوا الثقة في قيادته، أنه لم يستطع أن يهدم الجزائر، إذ ليس له لا المشاة ولا المدفعية الضرورية للنزول إلى البر والهجوم. وأخيرا أبحر دو كين إلى فرنسا، تاركا الجزائر في خرائب يتصاعد منها الدخان، ولكنها لم تر كع.

وقد كتب القنصل الإنكليزي، ريكوت إلى اللورد دارتماوث (Dartmouth): «انظر كم هي قليلة المبالاة التي أعطاها هؤلاء الناس إلى القنابل الفرنسية التي أحصيت عددها فكان حوالي 6 آلاف، وأوفى المعلومات التي حصلت عليها تقدر عدد الدكاكين والمنازل التي هدمت بـ: 800»⁽³⁾.

اضطرت فرنسا بعد هذا الفشل إلى العودة إلى فكرة السلام التي كان ينادي بها دينيس ديسو، وكان دبلوماسيا يعرف لغة التفاهم مع الجزائريين.

عملنا في الكتاب:

لقد طبع الكتاب مدجا متداخلا يصعب على القارئ الفصل بين شيوخ ابن زاكور وشيوخ شيوخه، ولذا تلخص عملنا فيما يلي:

(1) ويسمى: «المدفع القنصلي» كان من صنع أحد رجال البندقية سنة 1572 م، ويمكنه أن يقذف القذيفة على مسافة 2500 تواز (Tois) حوالي (4800 متر) مع دقة متناهية، ولما استولى الفرنسيون على الجزائر سنة 1830 م نقلوه إلى فرنسا ويوجد الآن في أحد متاحفها، انظر جون وولف الجزائر وأوروبا 345.

(2) انظر ملاحق رحلة ابن زاكور.

3. جون ب وولف، الجزائر وأوروبا 340 - 346.

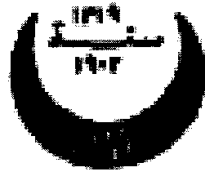
- 1 - إعادة تصنيف الكتاب - بما يسهل على القارئ فهم النص -، وإعادة تنظيمه في فقرات.
- 2 - إضافة عناوين فرعية مع وضعها بين معكوفتين []، على أنها إضافات وليست من صلب الكتاب.
- 3 - توضيح بعض ما أشكل في النص من معاني الكلمات الغريبة.
- 4 - عزو الآيات القرآنية.
- 5 - تخريج الأحاديث النبوية.
- 6 - ترجمة الأعلام الموجودة في النص قدر الإمكان.
- 7 - تقديم الكتاب بدراسة عن حياة ابن زاكور.

رحلة الشيخ ابن زكور الهاسي

المممة نشر ازهر البستان

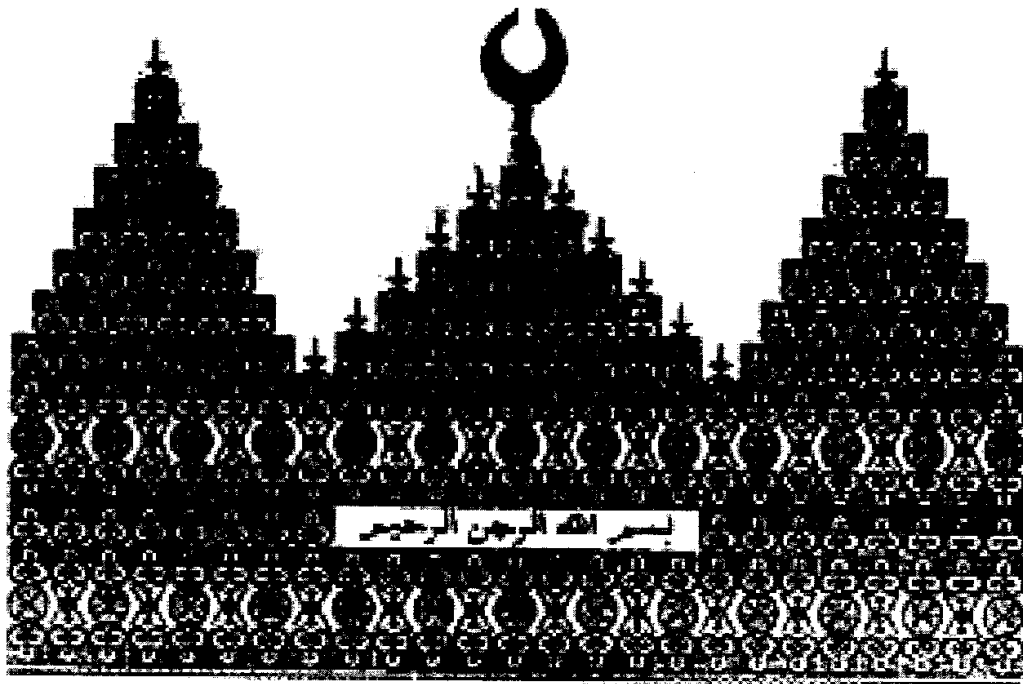
بيمن اجازني بالجزائر وتطوان

رحمة الله رحمة واسعة



طبع بمطبعة برنغانة بي الجزائر

صفحة الغلاف



بان اجل ما حوت به انفس الافئدة • تدارق الطروس • واكمل ما اوتت به
 انبلس الاعلام • حقائق الدروس • جد عالم الفيب والشهادة الملك القدوس •
 الذي البنا من طارف الادب اجل ليويس • وجعل في ليله اكابر الاممة •
 من اعلام هذه الامة • ارتياح النجوس • وانزياح اليوس • والملافة والسلام
 على سيدنا محمد الرسول الطاهر • العلم الطاهر • المطهي من ذرى الجعل
 العروس • الذي يهرع اليه في عندنا اليوم العيوس • صلى الله وسلم عليه
 وعلى آله الطيبين • واصحابه الغر المحجلين • الراتنين من اجراس الدين كل
 نعوس • الباعرين بانوار اليقين اشعة الشموس • صلاة وسلاما للمين دتمين
 يترى نغريهما الاطر ويجوس • مانق من نسمات الاراهم واجيق من نبعات
 عروس • ما تافت نعوس • الى الظل من حياض البراعة بكشوس •
 وبعد بلن الرحلة • منذ من الله ونجلة • نكصب الفليط الطباع • قايمة
 الرفقة والانطباع • وتغيب من كابد لها نصبا • علما غزيرا وادبا • وانه لما من

الصفحة الأولى من الكتاب

من صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم من ركن ركن من ركني
الذي لا يزل يمشي على قدميه في كل يوم من أيامي * وفي ليلة القدر
التي هي ليلة القدر * وعلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي المصطفى الذي جعل الله
سماواته راياتنا * يومها هي دجور المسبب اليهم * صلاة في كل وقتين
لا يطلع نورها ولا يبرق * ما جاح غيب * ونم بلزار الازهار نعيم * قال
كاتب * جمعت اليه مواكب الاحسان ومعابد * فدانتني واكمد الله
ما فصدته * وازدهى بدر فله كما اردته * واذا تجلى نوره للعيان * ونفست
نشر ازهر روجه الورق الاجنان * بلا بلس ان اعنونه بنشر ازهر البقان * يس
اجازني باكثر واطولان * من جلاء اكبر الاعيان * وكان الجراح من
تسويده صيحة يوم الخميس سابع عشر جمادى الآخرة من سنة خمس وخمسين
والربيع بعزلي من مولانا اندرس تبعنا الله بد من بلس * ابتاعنا الله عطرة الاجلس *
طعنة من اجلس الارجلس * بنته وطوله انتهى نحتها بحمد الله تعالى على بند
سودها ونشنتها بفر العيد * الى فنى العرش السعيد * الذئب للزور *
الذئب من غلة القور * محمد بن قاسم بن محمد الجلي عرف بابن رانكور *
كان الله له والوالديه وسائر المسلمين صيحة يوم الخميس ثمان خلون من رجب
سنة خمس وخمسين والربيع مرجا الله خيرها * جوفانا ميرها *

الصفحة الأخيرة من الكتاب

نص

رحلة ابن زكور الفاسي المسماة:
نشر أزاهر البستان فيمن أجازني
بالجزائر وتطوان
من فضلاء أكابر الأعيان



إنَّ أَجْمَلَ مَا حَبَّرَتْ بِهِ أَنْفَاسُ الْأَقْلَامِ نَهَارِقَ الطُّرُوسِ⁽¹⁾، وَأَكْمَلَ مَا أَبْرَتْ بِهِ أَنْفَاسُ
الْأَعْلَامِ، حَدَائِقَ الدَّرُوسِ، حَمْدَ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، الْمَلِكِ الْقُدُوسِ، الَّذِي أَلْبَسَنَا
مِنْ مَطَارِفِ⁽²⁾ الْأَدَبِ أَجْمَلَ لِبُوسِ، وَجَعَلَ فِي لِقَاءِ أَكْبَرِ الْأُئِمَّةِ مِنْ أَعْلَامِ هَذِهِ الْأُمَّةِ
ارْتِيَا حِ الْنَفُوسِ، وَانزِيَا حِ الْبُوسِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ الرَّسُولِ الطَّاهِرِ،
الْعِلْمِ الظَّاهِرِ، الْمَصْطَفَى مِنْ ذَوِي الْفَضْلِ الْمَحْسُوسِ، الَّذِي يُهْرَعُ إِلَيْهِ فِي شِدَائِدِ الْيَوْمِ
الْعَبُوسِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الْغُرِّ الْمَحْجَلِينَ، الرَّائِضِينَ
مِنْ أَفْرَاسِ الدِّينِ كُلِّ شَمُوسِ⁽³⁾، الْبَاهِرِينَ بِأَنْوَارِ الْيَقِينِ أَشْعَةَ الشَّمُوسِ، صَلَاةً
وَسَلَامًا تَامِينَ دَائِمِينَ يَتَرَى نَشْرَهُمَا الْأَعْطَرَ وَيَجُوسِ، أَنْقَ⁽⁴⁾ مِنْ نَسَمَاتِ الْأَزَاهِرِ؛ وَأَعْبَقَ
مِنْ نَفْحَاتِ عُرُوسِ، مَا تَاقَتْ نَفُوسٌ إِلَى الْعَلَلِ⁽⁵⁾ مِنْ حِيَاضِ الْبِرَاعَةِ بِكُتُوسِ.

(1) الطرس: بالكسر الصحيفة أو التي محيت ثم كتبت ج أطراس وطرُوس.

(2) المطارف: الأردنية.

(3) شَمَسَتْ الدَابَّةَ وَالْفَرَسُ تَشْمُسُ شِهَاسًا وَشُمُوسًا وَهِيَ شُمُوسٌ شَرَدَتْ وَجَمَحَتْ وَمَنْعَتْ ظَهْرَهَا وَهُوَ
كناية على تسهيل الصحابة أمور الدين الصعبة.

(4) أَنْقَ كَفَرِحَ بِالشَّيْءِ: أَعْجَبَ بِهِ، وَأَنْقَنِي: أَعْجَبَنِي، وَمَعْنَاهُ هُنَا: أَعْجَبُ.

(5) العلل: الشرب.

وبعد: فإن الرحلة منة من الله ونحلة، تُكسب غليظ الطباع⁽¹⁾، غاية الرقة والانطباع،
وَتُعَقَّبُ من كابد لها نصبا، عِلْمًا غَزِيرًا وَأَدْبًا.

[وصف لمدينة الجزائر ومدحها]

وإنه لما منَّ عَلَيَّ المولى الكريم، ذو الفضل السابغ العظيم، بدخول مدينة الجزائر،
ذات الجمال الباهر، وحلول مغانيها النواضر، التي غصَّ ببهجتها كل عدوِّ كافر،
فلذلك يتربصون بها الدوائر، في الموارد والمصادر، ويرسلون عليها صواعق لم تُعْهَدُ
في الزَّمن الغابر، أبرأني من غليلي ووجدي ما عاينته من روائها العسجدي⁽²⁾، وبحرها
اللازوردي⁽³⁾، إذ هي كما قيل:

بَلَدٌ أَعَارَتْهُ الْحَمَامَةُ طَوْقَهَا وَكَسَاهُ حُلَّةَ رِيشِهِ الطَّائِوُسُ

ما شئت من حدائق، كالنمارق، وَقُصُور نوع المحاسن عليها مقصور، والذي
أعارها ذلك المرأى الجميل، وأصارها فضيَّة الصباح عسجدية الأصيل، وألحفها بهجة
وإشراقا، وألبسها نضرة وإيراقا، وأبداها للعيون آتق من جيرون⁽⁴⁾، غُرَّرُ أعلام ينجلي
بهم الإظلام، وشموس أئمة، تنفرج بهم كل غمَّة، وتفتخر بهم أحبار هذه الأمة، من
رجال كالجبال، وأحبار كالأقمار، طلعوها في بروج سعودها بُدُورًا، ألبسوها رِوَاءً ونورا،
فَاهْتَدَيْتُ بأنوارهم السنية، إلى قطف ما راق من أنوارهم الجنيَّة، ورتعتُ في رياض آدابهم

(1) في الأصل: الغليظ الطباع.

(2) العسجد: الذهب وقيل هو اسم جامع يطلق على الجوهر كله كالدر والياقوت.

(3) اللازوردي: لازورد معدن مشهور يتولد بجبال أرمينيا وفارس أجوده الصافي الشفاف الأزرق
الضارب إلى حمرة وخضرة يتخذ للحلي وله منافع في الطب.

(4) جيرون: هو بنيان عظيم، عليه أبواب من نحاس عجيبة بناه جيرون بن سعدي بن عاد حَلَّ بدمشق
فمَصَّر مصرها، وجمع عدد الرخام والمرمر إليها؛ وشيد بنيانها، وسماها: إرم ذات العماد انظر مروج
الذهب / 1 / 222.

فتمتعت، ونهلت من حياض علومهم حتى تضرعت، وكرعت⁽¹⁾ في أنهار بلاغتهم حتى رويت، وهصرت⁽²⁾ من أفنان براعتهم ما هويت، ونسيت ببشرهم وتأنيسهم، وما اقتبسته من المعارف في تدريسهم، ما عانيتها من رهج⁽³⁾ القفار، وقاسيته في لجج البحار.

ولو لم يزد إحسانهم وجميلهم على البر من أهلي حسبتهم أهلي

فلم أزل بين اقتباس أنوار، واقتطاف أنوار، إلى أن أشعر كبدي بالانصداع، داعي الوداع، وأصابني من الوجد شبه الجنة⁽⁴⁾، عندما عزمت على الخروج من تلك الجنة، ولما أذف الرحيل، واستعمل عزمي في أسبابه العنق والذميل⁽⁵⁾، التمسيت ممن اصطفيته من أولئك الأخيار، أن يكتب لي من إجازته ما أطاول به الأحبار، فسوِّغ لي من اعتمرت بمطافه، ما ترشفته من نطافه⁽⁶⁾، وأجاز لي من اهتديت بمناره، ما أقبسني من أنواره، وقد أردت أن أذكر من حلاهم في هذه الأوراق، ما تحسده الجواهر في الأطواق، وأنقل إثر ذلك إجازة من أجاز، وأباح لي الرواية عنه في الحقيقة والمجاز، والله أرجو في إتمام ما قصدته، ومنه أستمد الإعانة على الذي سردته، لا إله سواه، ولا مانع لما أعطاه.

[ذكر أبي حفص عمر بن محمد المانجلاتي الجزائري]

فممن أقبسني بكلتا يديه، وأجاز لي رواية ما لديه، العَلَمُ الأشهر، والحَبْرُ الأكبر، حائز الشرفين: العَرَضِيّ والذَّائِي، أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المانجلاتي⁽⁷⁾،

(1) الكرع: هو دخول النهر والشرب منه.

(2) الهرص: الجذب.

(3) الرهج: هو الغبار.

(4) الجنة: الجنون.

(5) الذميل: ضرب من سير الإبل، قال أبو عبيد: فإذا ارتفع السير عن العنق قليلاً فهو التزيد، فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم. يقال: ذمل يذمل ويذمل ذميلاً.

(6) النطافة: القليل من الماء وقيل الماء الصافي قل أو كثير.

(7) توفي سنة 1104 هـ، انظر: عادل نويهض معجم أعلام الجزائر ص 318.

أبقاه الله، ونضر مرآه، هو بقية السلف، وبركة الخلف، الذي حمى الله به ذلك القطر من التلّف، إذ عليه المدار، في السّير والأخبار، وإليه المرجع، في كل خطب مُفزع، وإحكامه لقواعد العلوم، هو الذي أمطاه قُنن⁽¹⁾ النجوم، وأعطاه شرفاً غير مروم، لأنه يصول بنصول الأصول، ويطول على كل ذي منطِق، بذوابل الجدل وصوارم المنطق، إلى شمائل؛ كنسمات الخمائيل، وهمة، أكسبت الدهر غمّة، وفصاحة رايقة؛ وبلاغة فائقة؛ إذا حدّث أو أملى، فما أبدع وما أحلى، وإن استطرد في درسه حكاية، لتنميق رواية، كان ذلك أعذب وأسوغ، من منادمة الطّبي الأثلغ:

يقود عصابات القلوب بيانه فلولا تُقاهُ كنت أحسبه سِحراً
على أنه دنا من أرذل العمر واقترب، وبات من وزد الثمانين على قرب، فما ظنك به إذ بُرد عمره نضير، وبدر شبابه مستدير، وروض فتائه مورق، ونور ذكائه مونق، وقد أفصحتُ عن علاه، في قصيدة طرّزتها ببعض حلاه، وأنشدتها بين يديه، يوم ختمي «جمع الجوامع»⁽²⁾ عليه، وهو يوم السبت الرابع [4] من جمادى الأولى من شهر سنة أربع وتسعين وألف [1094هـ / 1682م] وهي هذه:

[مدح المؤلف لشيخه عمر بن محمد المانجلاتي]

حيّ على الأُنس أن طيف الهموم سرى	وسلّ نفسك وانهج نهج من صبرا
ولا تصخ لدواعي البثّ إن صدحت	إنّ دواعيه تستجلب الضررا
واذكر معاهد قد راقّت نضارتها	فإنّ في ذكرها أنسا ومعتبرا
لله منها أصيلان جنيت بها	في روضة اللّهُ من نخل المنى ثمرا

(1) قُنن كل شيء أعلاه.

(2) جمع الجوامع كتاب في أصول الفقه تأليف عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي أبو نصر تاج الدين الشافعي توفي سنة 771هـ انظر ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر ج 2 / 425.

بُعْدُ يُوَجِّجُ فِي أَحْشَائِنَا سَقْرَا
نَلْنَا عِدَا الْأَعْطَرِينَ الْوَرْدِ وَالزَّهْرَا
دَانَ خَلَا النَّيْرِينَ الشَّمْسِ وَالْقَمْرَا
أَغْرَى بِنَا الْأَعْجَمِينَ الطَّيْرِ وَالْوَتْرَا
حَيَّ عَلَى الْأَنْسِ أَنْ طَيْفَ الْهَمُومِ سَرَا
خُذْ مَا صَفَا لَكَ وَابْذُ كُلَّ مَا كَدْرَا
كَفُّ النَّسِيمِ دَرُوعَا حُسْنُهَا سَحْرَا
كَمَا سَقَطَتْ عَلَى بَحْرِ الْعَلَا عَمْرَا
مَنْ عَالَجَ الْعِلْمَ حَتَّى ذَاعَ وَانْتَشَرَا
بِاسِ الْجَمَالِ الَّذِي كُلُّ الْوَرَى بِهِرَا
أَبْقَى لِمَنْ بَعْدَهُ شَيْئًا وَمَا وَذْرَا
تَجِدُ جَمِيعَهُمْ مِنْ بَحْرِهِ نَهْرَا
حَمَّ بِهَا أَحَدَ النَّسْرِينَ فَاثْكَدْرَا
وَخَلَقَ كَالْخُلُوقِ قَدْ هَفَا سَحْرَا
جَالَسْتُ بَدْرَ هُدًى بِالشَّمْسِ مُعْتَجِرَا
لَمَّا قَضَتْ مُنِيَّتِي مِنْ نَوْرِهِ وَطْرَا
قَدْ كُنْتَ ابْنَ زَاكُورِ هَذَا الْبَحْرِ فَاقْتَصِرَا
وَالْبَدْرِ أَقْبَسَنِي وَالْعِلْمَ لِي سَفْرَا
فَالْيَوْمَ حِينَ اكْتَسَبْتَ الْمَجْدَ لَا ضَرْرَا
تَفْضِي إِلَى مِثْلِ مَصْبَاحِ الدَّجَى عُمْرَا
لَكِنْ مَحَاسِنُهُ أَزْرَتْ بِمَنْ غَبْرَا

إِذَا أَحَبَّةٌ يَعْدُو عَنْ وَصَالِهِمْ
حَيْثُ اتَّخَفْنَا وَلَا وَاشٍ يَنْمُ بِمَا
وَلَا رَقِيبَ عَلَى الْأَفْرَاحِ يَحْسَدُنَا
وَزَهْوُنَا بَتْلَاقِنَا وَأَلْفِتِنَا
فَصَاحَ ذَاكَ عَلَى أَفْنَانِ دَوْحَتِهِ
وَبَثَّ ذَا بَيْنَانَ الَّذِي يُجَرِّكُهُ
وَالْبَحْرَ مِثْلَ مَذَابِ التَّبْرِ حَاكٍ بِهِ
وَالْوَرَقَ تَسْقُطُ فِي أَمْوَاجِهِ دَرَا
حَبْرَ الْجَزَائِرِ وَالدُّنْيَا بِرَمْتِهَا
بَدْرَ الْجَلَالِ وَمَصْبَاحِ الْكَمَالِ وَمَقْدِ
شَيْخِ أَحَاطَ بِأَنْوَاعِ الْمَدِيحِ فَمَا
إِنْ تَنَمَّ أَهْلُ الْعَلَا إِلَى مَحَاسِنِهِ
ذُو هَمَّةٍ شَغَفَتْ بِالْمَجْدِ كَالْيَةِ
إِلَى شَائِلِ أَزْرَتْ بِالنَّسِيمِ ضَحَى
مَنْ يُبْلِغُ الْأَهْلَ أَنِّي بَعْدَ بَيْنِهِمْ
وَقَدْ ظَفَرْتُ بِمَا قَدْ كُنْتَ أَمَلْتَهُ
حَتَّى لَقَدْ خَلْتُ أَمَالِي قَوَائِلِي
مَنْ ذَا يَطَاوَلَنِي وَالْمَجْدَ صَافِحَنِي
قَدْ كُنْتُ قَدَمَا أَحْسَ لِلنَّوَى ضَرَارَ
مَا أَحْسَنَ الْبَيْنَ إِذْ كَانَتْ إِسَاءَتُهُ
بَقِيَّةَ السَّلَفِ الْمَاضِي وَنَخْبَتَهُ

في عدله ألدّ فشا في النَّاسِ واشتهرا
 منذ زمان وسيل الجهل فيها جرا
 عَيْنَ الجهول فلم يسطع لها نظرا
 أطاول العالم الخبر الذي مهرا
 غُرُّ مَعَانِيهِ مَنْ غَابَ وَمَنْ حَضَرَ
 نفيسة تحجل الياقوت والدررا
 فالحمد لله حمدا طيبا عطرا
 تخفف الأثقلين الترب والحجرا
 باهى بها الثقلين الجن والبشرا
 نَظَمَ مَنْ دُرَّهَ مَا كَانَ مَنُتَشِرَا
 ولا تزالِ تُنْشِي لهما خبرا
 أضحي يطرز ما حكى وما ابتكرا
 عن أن يرى بخسوف البدر مستترا
 تروض العالمين البدو والحضرا

قاضي القضاة الذي لا شيء يَعدُّهُ
 بحر العلوم التي غاضت مناهلها
 شمس الأصول التي تعشي أشعتها
 كم من فوائد أولاني غدوتُ بها
 هذا و«جمع الجوامع» الذي بهرت
 أبدى لنا كل ما يحويه من نكت
 وأهالها من لئال قد ظفرت بها
 سَحَتْ على قبر تاج الدين غادية
 ولا تحطت مُحَلِّيهِ بتحليله
 نعم المحلِّي مولانا المحلي إذ
 يا رحمة الله عوجي بضريرهما
 إن الإمام أبا حفص الرضی عمراً
 بدر الجزائر صان الله بهجته
 وبعرها العذب لا زالت جداوله

قال كاتبه، سترت معائبه، وكنت أيام قراءتي هذا الكتاب كثير الكلفِ باختتامه،
 شديد الشغف بإخراج نوره من أكمامه، خوف أن يعوق السفر، عن ذلك الوطر،
 وكان الشيخ -رضي الله عنه- كثيرا ما يتأخر عن المجلس، لغرض عرض، من حفظ
 صحة، أو دفع ما يتوقع من مرض، فتأخر لأجل ذلك أياما، لم أذق فيها من الوجد
 مناما، فكتبت إليه في ذلك بما نصه:

ومن حوى أعلى مقام
 مُذْ غِبْتَ يَا حَبْرَ الأَنَامِ
 سَنَّاكَ يَا بَدْرَ التَّمَامِ

يا أيها المولى الإمام
 لقد غدونا في ظلام
 أُطْلِعْ عَلَيْنَا نَقْتَبِسِ

سيدي، وأجل عُددي، أبقاك الله مخصوصا بالبركة من غير اشتراك، ما ترجح التخصيص عند التعارض على الاشتراك، زاد اشتياقنا إليك على الطوق، وشبَّ عمرو صبرنا عن الطوق⁽¹⁾، -فليت شعري- متى تنكسر سورة هذا الصَّر⁽²⁾، وتنقصم عروة هذا الضَّرُّ، الذي حجب عنا ضوء مُحْيَاك، ومنعنا من لقياك، فتبسط يمني الزمان معروفها، وتطوي يسراه صُروفها، وعسى الله أن يعادل سحاب صره بالصحو، ويقابل ما كتبتُه يدُ ضُرِّه بالمحو، فيُسْفِرُ مُحْيَاكَ ولا كإسفار الصباح، متهللا بالبشر والانشراح، فنستعين بأشعة أنواره، على قطف أزهار الأصول وأنواره، وكاتبه أفقر الخلق، إلى المعبود بالحق، يقرئ عليك سلاما مسكِّي الشميم، عنبريِّ النسيم، تبتهج النفوس برياه، وتتعاطى به عقار السرور وحمياه.

فكان -رضى الله عنه- بعدُ إذا أراد التأخر لعذر واضح من الأعذار، من نزول جليد أو هطل مدرار، بعث إليَّ وَلَدَهُ، يُعَلِّمُنِي أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْضُرَ مَشْهُدَهُ. ولما عزمت على الترحال، ونويت أن أعمل فيه الوخذ والإرقال⁽³⁾، طلبت منه الإجازة فيما أقبسني من أنواره، وأودعني من أسراره، فكتب لي بعد الامتناع بخطه النضير، ما أزرى بالدر الثير، وهو:

[نص إجازة المانجلاتي للمؤلف]

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، ورضي الله تعالى عن الصحابة أجمعين، وعن التابعين وتابع التابعين إلى يوم الدين،

(1) كذا بالأصل.

(2) الصَّرُّ: هو شدة البرد.

(3) في الأصل الوخذ والصواب الوخذ، والإرقال ضرب من سير الإبل وهو سعة الخطو في المشي وهو كناية على عزمه في السفر بسرعة.

وعن العلماء العاملين، ونفعنا الله بالكل أمين. وبعد: فقد اجتمعت بالشاب الأديب، الأريب الحاذق اللبيب، السيد محمد بن قاسم بن زاكور، مفتح عام أربعة وتسعين وألف [1094 هـ / 1682 م]، وقرأ عليّ «جمع الجوامع» للإمام السبكي من حفظه، مع جماعة من الطلبة، فمكثنا في قراءته من أوله إلى آخره نحو أربعة أشهر، فرأيت من حرصه واعتناؤه واشتغاله بما يعنيه ما أعجبني، وفيه قابلية لما يلقي إليه، مع ذهن ثاقب، وفهم صائب، ومشاركة في فنون من العلوم، وكانت قراءتنا «لجمع الجوامع» بإحضار شراحه كالمحلي⁽¹⁾، وكُنَّا نقرأ كثيرا منه باللفظ، وولي الدين العراقي⁽²⁾، والكوراني⁽³⁾، وحواشي، مع بعض شراح «مختصر» ابن الحاجب⁽⁴⁾، فَشَغِفَ بذلك وأعجبه، لحرصه على العلوم، فطلب مني أن أجزه فامتنعت، لأنني في نفسي لست من أهل هذا الشأن، ولا من فرسان ذلك الميدان، فألح عليّ المرة بعد المرة، لظنه الجميل أنني من هذا القبيل، فأسعفت طلبته حرصا على جبر خاطره، خشية من كسر قلبه، لأنَّ كسر القلوب، في كسر القلوب، وجبرها في جبرها، فأجزته أن يروي عني ما رويته عن أشياخي من الفنون التي أسردها بشرطه المعتبر، عند أهل النظر، وكنت قرأت على مشايخ جلة أعلام، ومن أجلهم عندي سيدي ومولاي الذي لازمته أربع عشرة سنة نهارا وليلا في غالب الأوقات:

(1) هو محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم المحلي، المصري، الشافعي جلال الدين توفي سنة 864 هـ انظر ترجمته في ابن الحمصي في حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران 85، ورضا كحالة معجم المؤلفين 8 / 312.

(2) هو أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن أبو زرعة ولي الدين العراقي توفي سنة 826 هـ ترجمه ابن حجر في إنباء الغمر 8 / 21.

(3) هو أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن أحمد بن رشيد بن إبراهيم شرف الدين ثم دعي شهاب الدين الشهرزوري الهمداني التبريزي الكوراني ثم القاهري واسم شرحه الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، توفي سنة 893 هـ، انظر السخاوي الضوء اللامع 1 / 241.

(4) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الرويني ثم المصري ثم الدمشقي ثم الإسكندري يكنى أبا عمر المعروف بابن الحاجب جمال الدين الإمام العلامة الفقيه المالكي توفي سنة 646 هـ، انظر الديباج المذهب لابن فرحون 289.

[ذكر الشيخ علي بن عبد الواحد السجلماسي الأنصاري]⁽¹⁾

أبو الحسن سيدي علي بن عبد الواحد السجلماسي الأنصاري⁽²⁾ - قدس الله روحه في دار النعيم -، مع جماعة من الطلبة الأخيار، والنجباء الأبرار، أخذت عنه فنّ الأصول، والبيان، والمنطق، ومصطلح الحديث، والفقه، والحديث، والسّير، والتصوف.

ففي الأصول: قرأنا «جمع الجوامع» مرارا، و«مختصر» ابن الحاجب⁽³⁾ نصفه، وفي البيان: «تلخيص المفتاح» مرارا، وفي المنطق: «الجمل» للخونجي مرارا، و«مختصر» الشيخ السنوسي⁽⁴⁾، ونظم الشيخ سيدي عبد الرحمن الأخضر، وفي المصطلح: «ألفية» العراقي⁽⁵⁾ مرارا، وجملة من كتب السّير.

وفي الحديث: «صحيح البخاري»، و«مختصر خليل» في الفقه، و«نظم ابن عاصم» في الأحكام، كما قرأنا كتاب «الشفاء» للقاضي عياض، مع «البردة» للإمام البوصيري⁽⁶⁾ في مدح النبي ﷺ، و«السينية»⁽⁷⁾، و«عقائد الشيخ السنوسي» قراءة ضبط وتحقيق.

- 1) هو أحد شيوخ أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المانجلاتي الجزائري.
- 2) هو علي بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن يحيى بن أبي يحيى بن أحمد بن السراج أبو الحسن الأنصاري السجلماسي الجزائري توفي سنة 1057 هـ، انظر المحيي خلاصة الأثر 3 / 173 والإفراني في صفوة من انتشر 243.
- 3) مختصر ابن الحاجب المسمى منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل ومختصره هو المعتمد في التدريس شرقا وغربا.
- 4) مختصر في المنطق تأليف محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب أبو عبد الله السنوسي المالكي التلمساني توفي سنة 895 هـ انظر: ابن مريم التلمساني، البستان 237.
- 5) ألفية العراقي منظومة في علم مصطلح الحديث تأليف عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم زين الدين الشهير بالعراقي توفي سنة 806 هـ انظر ابن حجر، إنباء الغمر 5 / 170.
- 6) المسماة بالكواكب الدرية في مدح خير البرية، من نظم محمد بن سعيد شرف الدين أبي عبد الله الدلاصي البوصيري توفي سنة 694 هـ، انظر حاجي خليفة، كشف الظنون 2 / 1331.
- 7) هي قصيدة في مدح النبي ﷺ في 92 بيت من نظم حسن بن أبي القاسم بن باديس أبو علي المالكي توفي سنة 787 هـ انظر ابن قنفذ الوفيات 376.

[ذكر الشيخ سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري]⁽¹⁾

وكنت أخذت قبل قدومه إلى بلدنا عن غيره من المشائخ، من أعظمهم وأولاهم: شيخ الإسلام سيدي سعيد بن إبراهيم الجزائري إمام الجامع الأعظم⁽²⁾، - نفع الله به، ونفعه بعلومه، وأسكنه بحبوحه الجنان - : الحديث؛ والفقه؛ والنحو؛ وشيئا من التصوف؛ ك«الحكم» لابن عطاء الله؛ و«التنوير»⁽³⁾؛ وعن غيره: الحساب؛ والفرائض؛ وشيئا من علم الوقت إلى غير ذلك، وأخذت عن غير من ذكر «الخزرجية»⁽⁴⁾ بشرحها للشريف الغرناطي⁽⁵⁾، وأقرأتها للطلبة ما ينيف على أربعين ختمة، كما أخذت: «لامية ابن مالك» في التصريف، كل ذلك بجدّ واجتهاد، مع التفرغ والاشتغال بالعلوم، واليوم تشتتّ البال، وتبدلت الأحوال، - نسأل الله أن يختم لنا بالحسنى، ويلحقنا بأسلافنا وأشياخنا غير مبدلين ولا مغيّرين، إنه وليّ ذلك، وهو حسبي ونعم الوكيل -، وهم - رضي الله عنهم -؛ أخذوا ذلك عن مشايخ جلةٍ من أعلام المغرب والمشرق، قراءة وإجازة وإعلامًا.

وها أنا أكملت غرضه، وأذنت له أن يروي ذلك عني بشرطه عمن رويته عنه، ووالله مع هذا ما ظننت أني في هذه الطبقة، ولكن خلت الديار، فسدت غير مسود، وكان شيخنا أبو عثمان سيدي سعيد بن إبراهيم يتأوه عند ذكر مشيخته، وينشد لابن الحاجب:

(1) هو أحد شيوخ أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المانجلاتي الجزائري.

(2) يقصد الجامع الأعظم بالجزائر العاصمة.

(3) المسمى التنوير في إسقاط التدبير تأليف أحمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن عطاء الله السكندري المالكي توفي سنة 709 هـ انظر ابن فرحون، الديباج المذهب 131 وابن مخلوف شجرة النور 1 / 204.

(4) هي قصيدة في علم العروض تسمى: الرامزة من نظم عبد الله بن محمد ضياء الدين أبي محمد الخزرجي المالكي الاندلسي توفي سنة 626 هـ انظر المقرئ، نفع الطيب 2 / 406.

(5) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الحسيني أبو القاسم المعروف بالشريف الغرناطي السبتى توفي سنة 760 هـ انظر ابن قنفذ الوفيات 362 والنباهي المرقبة العليا 180.

لقد سئمت حياتي اليوم لولا
كأحمد سبط أحمد¹ حين يأتي
تذكرني مباحثه زمانا
زمانا كان الأبياري² فينا
مضوا فكأنهم إمّا منام
مباحث صاحب الإسكندرية
بكل مليحة كالعبرية
وإخوانا عهدتهم سويه
يُدرّسنا وتغبطنا البريه
وإمّا صبيحة أضحت عشيّه

وكذلك نحن مضى أسياننا وإخواننا الذين كنا نتذاكر معهم، وتألّفنا بهم، وخُلفنا
وتحولت الأحوال، واشتغل البال، نسأل الله أن يلحقنا بهم غير مبدلين ولا مغيرين،
بجاه سيد المرسلين.

وكتب عن عجل، والقلب في وجل، صبيحة الأربعاء المكمل عشرين [20] من
شهر جمادى الأخرى من عام أربعة وتسعين بعد الألف [1094 هـ / 1682 م]،
-عبد الله وأصغر عبيده- عمر بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف الجزائري الدار
والمنشأ، المانجلاتي نسبا⁽³⁾، -أصلحه الله-، وكان له ولذريته وليا ونصيرا، أمين أمين
أمين، والحمد لله رب العالمين.

تمّت الإجازة البديعة، وبتامها تمّت ترجمة هذا المولى، الذي خصّه الله بعدم المساوي
والأولى، أبقاه الله، ولا حرمني من لقياه.

[ذكر أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري]

ومنهم الفاضل العلامّة الذي جعل للمحاسن علامّة، فاعترف بفضلته كل موقن،
أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري، أتم الله نوره، وأدام سروره،

1. هو نفسه الأبياري الآتي.

2. هو أحمد بن محمد بن منصور بن أبي القاسم الجذامي ناصر الدين أبو العباس الأبياري المالكي
الإسكندري توفي سنة 683 هـ انظر ابن مخلوف، شجرة النور 1 / 188.

(3) منكلاّة ومنجلّاتة والجيم في النطق المحلي تنطق قاف معقودة وهي قبيلة بربرية فرع من زواوة انظر ابن
خلدون، العبر 6 / 263.

بمنه وفضله، غرّة مجدٍ في جبين الجزائر ساطعة، ودرّة فضل في جيد المكارم لامعة، وبحر من السّاحة زاخر، أعى الأوائل والأواخر، رحل إلى المشرق مرارا، وانتجع للمعارف قطارا، وحظي بصحبة شيوخ جلة، أنهله كل واحد منهم وعله، وما زال يخطب من عقائل المعاني كل خريفة، وينظم من جواهر البيان كل فريفة، حتى أربى على أهل زمانه، وطاول أحبار أوانه، وتوغّله في الأدب، هو الذي أولاه عالي الرّتب، وأهدى إليه السيادة من كل غور، وأرقاه على القعقاع ابن شور⁽¹⁾، إذا سجع كلاما، أو رصّع نظاما، سحر ببيانه عيانا، وأسكر بسلافة إبداعه أذهانا، وإن تكلم في سائر العلوم، نفس عن المكظوم، وأحيا قتيل الهموم.

قال كاتبه - سترت معاييه -: وكنت قبل أن ألقاه، وتكتحل جفوني بمرآه، لم أزل مكظوما محزونا، أكابد من غمرات الاغتراب فنونا، ولما شمت⁽²⁾ سنه، وشممت شذاه، صحتُ واطرباه، ولم أنشد بعد واحرّ قلباه، وهذا الفاضل ممّن بوأه الله المكانة العليا، وجمع له بين الدين والدنيا، فهو ينشد إذ كلفا به معا:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا

ولم يزل مدّة إقامتي بمطافه، يرشفني أعذب نُطافه، ويجيش إليّ من المكارم بأبحر، ويولينني من المحاسن ما يُعمرُّ عُمرَ سبعة أنسر⁽³⁾، حتى شردت في التوى عن ذلك المثوى، وقد مدحته بقصيد، ذهب من الإبداع في كل بريد، ونظم من حلاه كل فريد، وقطع من عداه كل وريد، ورفعته إليه يوم ختمنا نظم أبي إسحاق التلمساني⁽⁴⁾ عليه،

(1) القعقاع بن شور: تابعي يضرب به المثل في حسن المجاورة فليل: لا يشقى بقعقاع جليس.

(2) شما يشمو شما: علا أمره ومعناه هنا: علوت.

(3) تضرب العرب المثل لطول العمر بالنسر فتقول أعمر من نسر ويقال: إنه يعيش خمس مائة سنة، انظر الزمخشري المستقصى في أمثال العرب 1 / 254 والثعالبي ثمار القلوب 385.

(4) المشهورة ب: التلمسانية في الفرائض تأليف إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى أبو إسحاق الأنصاري المالكي التلمساني توفي بعد سنة 690 هـ انظر ابن مريم، البستان 55، وابن مخلوف شجرة النور 202.

وذلك يوم الثلاثاء آخر ربيع الثاني من عام أربعة وتسعين وألف [1094هـ / 1682م]،
وهو هذا:

[قصيدة للمؤلف في مدح محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري]

البحر قد أبدى سنى نضرته
قد خلع الحُسْنُ عليه حُلَى
كأنه والشمس قد نفضت
مطارف العقيان قد طرزت
ذكرني عهد الناقد مضى
في جنّة أربت على جلق
ما شئت من نور كدرٌ على
ومن غصون قد سقاها الحيا
دبّجها النّوار من أصفر
وأحمر يشبه خد الذي
حيث المنى تطلعه قمرا
لم يعره هجر يهيج الجوى
إلا نفا را هو في طبعه
ينفرتيها ثم يثنيه ما
فقلت إذا أبصرته تائها
ولا تعذبني بنار الجفا
فافتّر نظم الدر من ثغره
فهامت الأعين في بهجته
وانتظم الإبداع في لبّته
شعاعها الأنضر في لجّته
باللازورد الغض من زرقته
بأرض تطوان على ضفته
علمها الحسن بألويته
زبرجد يسبي سنى خضرته
فعربدت بالرقص من خمّرته
يحكي النضار الغضّ في كهبته
أنحلني شوقي إلى رؤيته
تنأى دجى الأحزان من طرته
ويعطف القلب على حرّته
إن نفا الرظبي من خلّقه
يبصر من وجدي على نفّته
كن راضيا حبّي عليّ وتّه
يا من حياة الصبّ في قبضته
وأين نشر المسك من نكهته

وأين بدر التم من وجهه
واهتز عجا بخضوعي له
أي هلال في قضيب نقي
عانقت من قامته غصنا
لم أصح من سكري بتعنيقه
أي زمان قد مضى مسرعا
لم أنتبه من نوم لذته
ياليت شعري والمنى ربما
هل يدنون الغرب بعد النوى
وهل أرى تلك البدور التي
أجل فجمعي بهم عاجلا
ما أقدر الله على ردّ من
فيا نسيما من حماهم سرى
كيف الربى والمنحنى والنقى
عهدي بهامرتع كل رشا
وكيف أحبابي وهل علموا
نكبني الدهر ببينهم
أمسيت صبا بالجزائر لا
لولا ابن عبد المؤمن المرتضى
جعلته قصدي ونعم الذي
العالم النحرير من دأبه

وأين لمع البرق من غرته
فأين غصن البان من هزته
أضواءه الديدجور من لمته
كما قطفت الورد من وجنته
إلا بتقطيعي على فرقته
يا حرّ أنفاسي على سرعته
إلا بأشواقي إلى أوبته
تساعد المشتاق في بغيته
فأقطف الآمال من ضيعته
تزري ببذر الأفق في طلعتة؟
سهل على الرحمن في قدرته
ندّ به البين إلى فئته
شممت عرف المسك من هبته
والنهر والروض على ضفته
لا راعها الدهر بتنحيته
شوقي الذي أوبقت في أزمته
أشكو إلى الرحمن من نكبته
أعدم شجوا ذبت من لفحته
قضى فؤادي من لظى لوعته
يقصده الإنسان في غربته
أن ينقذ الملهوف من كربته

عيس النوى أو حاد عن وجهته
عاطرة الأنفاس من نفحته
فها أنا أنعم في جنته
تحت ظلال العلم في حضرته
أعجز أن أنفك من حوزته
يغضي على مثلي في هفوته
ويسعد الراغب في رغبته
لا عاقه المقدار عن نزته
أدنى مدى ارقل في مشيته
نجل التلمساني في صنعته
أبداع ما ألف في صفته
وحاكه اطرا على نزرته
ومن مبین مقتضى حكمته
وحل ما استصعب من عروته
وقد تناهى الدهر في خدمته
والبدر حلاه بتحليلته
وفاض بحر الجود في برده
تسجد أمداحي إلى قبلته
لفعها الصدق بأقبيته
ولفها المجد بأرديته
فلم تصخ سمعا إلى خطبته

وأن يواسي من به شردت
أنخت آمالي به فانشت
إن تسأل الأحباب عن نزلي
أقطف أنوار المنى غضة
أثقلني بالبر حتى لقد
ما شأنه عيب سوى أنه
ويسعف الطالب في قصده
نزهته في العلم يدرسه
أفادنا علم الفرائض في
من درسه النظم الذي صاغه
نظم عقود الدر لم تحكه
أحصى أصول الفن محكمة
ناهيك من نظم ومن ناظم
بين ما أشكل من لفظه
ماذا يقول المرء في مدحه
والشمس أولته أشعتها
وخيم المجد بساحته
بدر الهدى والعلم يا من غدت
خذاها على رغم العدى غادة
خود زهت إذ بشرت بكم
كم رامها قبلك ذوهمة

بنت ابن زاكور فمنشاه
 صداقها الغالي قبولكها
 فاسمح له واقبل هديته
 لا زلت ذا حال تسوء العدى
 والله يبقيك إمام هدى
 فاس وأهل الفضل من أسرته
 منه فما أغلاه في نيته
 وعف بالصدق على زلته
 ما حن ذو بعد إلى تربته
 ما غرّد القمري على دوحته

ومن أعظم شاهد على سلامته من الدعوى، التي عمت بها البلوى، مع بلوغه في كل فنّ الدرجة القصوى، أني في بعض الأيام غلبني الضحك بحضرته، فظنّ لحسن نيته، وجميل طويته، أن ذلك من عدم معرفته، فكتبت إليه معذرا من تلك الهفوة، مقسما أن ذلك افتتان بإقراءه وصبوه، لا غلظة وجفوة، بهذه الأبيات:

[المؤلف يعتذر ويمدح محمد بن عبد المؤمن الجزائري]

مهلا على القلب إن القلب قد لَسِبَا
 حبر الجزائر لا تنفك محتجبا
 لا وحياتك يا ابن الأكرمين أبا
 لكن طربنا بما أبديت من نكت
 وقد فهمنا فَهْمُنَا بالذي شربت
 ومن يكن بعقار العلم مصطحبا
 هبنا زللنا أَمَا للحلم أردية
 إن كان هذا الذي أبديته كذبا
 ولا ركبت جياذ العلم مسرجة
 ولا ظفرت بما أرجوه من وطر
 ولا حننت إلى فاس وجيرتها
 إذ قيل حبر الهدى علي قد عتبا
 عن من يمد إلى تنكيدكم سيبا
 ما كان ما فات منا عن قلى عجبا
 نفيسة أورثتني ضحكا طربا
 أفكارنا من عقار حكمت الضربا
 أجدر به أن يرى من سكره طربا
 سابغة ترتديها زلّة الغربا
 فلا قضى وطري من علمكم أربا
 ولا اقتديت بمن هام بها وصبا
 ولا برحت أعاني الكد والوصبا
 ولا دعاني إلى تطوان عرف صبا

فافتتن - رضي الله عنه - بشعري، وتقبل عذري، وتجاوز عن وزري، وبعث إلي بدراهم، وأغرقني بحراً أمدَّ ببحار من المكارم:

إنما البشرُ روضةٌ فإذا كـ ان وبذلُ فروضةٌ وغدير

وهي عليّ بعد ذلك جوده الصيّب، بمجلد طيب، تضمّن شعريّ أبي تمام والطيب.

ولهذا المولى أشعار، أرق من نسفات الأسحار، ورسائل أتق من نفحات الخمائل، لو قرأهما على الصخر لتفجّر ماء صُراحا، ولو ألقاهما على البحر لصار سلسالا قراحا⁽¹⁾، شاهدت من ذلك ما تقرّ برؤيته العيون الباكية، ويحسده نسيب⁽²⁾ عبد الرحمن بن حسان⁽³⁾ في رملة بنت معاوية.

وقد أخبرني في هذه الأيام غير واحد، ممّن قدم من تلك البلاد، من أهل الانتجاع والارتباد، أنه تولى قضاءها، ورد عليها بعدله رونقها، الذي فقدته وبهاءها، أبقاه الله يظهر سناها، وينضر مرآها.

ولما فرغت من ذلك الطواف، وعزمت على الانصراف، سألته أن يجيز لي ما قرأته عليه، أو سمعته لديه، فنفت لي بهذا السحر، من غير إعمال روية ولا فكر، وهذا نص إجازته:

[نص إجازة أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري للمؤلف]

الحمد لله الذي أجاز على العمل الحسن الصحيح المقبول أحسن إجازة، ووعد بوجادة ذلك يوم مناولة الكتاب باليمين، وعدا لا يخلف سبحانه إنجازها، وأشهد أن

(1) القراح: الماء الذي لا يخالطه شيء أي الخالص.

(2) النسيب: نسب بالنساء ينسب وينسب نسبا ونسبياً ومنسبة: شبّه بهن في الشعر وتغزل وهو الشعر الرقيق في النساء.

(3) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري انظر عمر فروخ تاريخ الأدب العربي 1 / 555.

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضدّ ولا ندّ له، شهادة يضحى بها العمل الموقوف مرفوعاً، ويتّصل بها ما كان مقطوعاً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، المرفوع قدره على جميع الخلائق، المعنعن خبر نعته بأكمل الخلائق، ﷺ وعلى آله صلاة وسلاماً يرفع بهما كل معضل، ويهتدي بهما من جانب سبيل الصواب أو ضل.

وبعد، فإن العلم أشرف ما يتحلّى به الإنسان، وأكمل وصف يتكامل به الأعيان، وقد ورد في فضل العلم والعلماء ما هو مقرر مشهور، ومعروف بين أهله مذكور، وإن ممن ضرب فيه بنصيب وافر، وحصل منه القدر المفيد الظاهر، الفقيه النبيه، العالم الوجيه، اللوذعي الأوحّد، جامع الفضائل التي لا تجحد، أبا عبد الله الشيخ محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن زاكور الفاسي - حفظه الله وحرسه -، وبكل المبرّات والمسّرات آنسه، فإنه لما حلّ حضرة الجزائر، التي عمّ أمنها القاطن والزائر، قرأ معنا صدرًا من كتاب «جمع الجوامع» للتاج السبكي، وبعضاً من «تلخيص المفتاح»⁽¹⁾ من باب الفصل والوصل، و«أرجوزة ابن التلمساني» في الفرائض، ووقعت المشاركة بيننا وبينه في المسائل العلمية، والنوادر الأدبية، فألفيته سابق الحلبة، ودرّاك المسائل الصعبة، فالتمس منّي أن أجيزه فيما قرأ معي، أو سمعه مني، فاعتذرت إليه من التقصير، والباع القصير، وعدم التأهل لأن أجاز فضلاً عن أجيز، ولست محسناً للإطناّب ولا متمكناً من الكلام الوجيز، فلم يقبل مني ذلك، وصادف وقتاً لم يمكنني فيه إسعافه بإجادة ما هنالك، فأجزته بذلك على شرطه، المعتر عند أهله، بإجازة الحافظ الشهير علامة مصر، وحافظ العصر، أبي الحسن الشيخ علي الشبراملي⁽²⁾، عن الشيخ إبراهيم

(1) المسمى: تلخيص المفتاح في المعاني والبيان وهو تلخيص لكتاب مفتاح العلوم للسكاكي تأليف محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم جلال الدين العجلي القزويني الشافعي توفي سنة 739هـ انظر ابن حجر، الدرر الكامنة 4 / 3.

(2) هو علي بن علي نور الدين أبو الضياء الشبراملي الشافعي القاهري توفي سنة 1087هـ، انظر المحبي، خلاصة الأثر 3 / 174.

اللَّقَانِي⁽¹⁾، والشيخ عبد الرحمن اليميني⁽²⁾، بروايتها معا عن أبي النجاة الشيخ سالم السنهوري⁽³⁾، عن الشيخ نجم الدين الغيطي⁽⁴⁾، عن الشيخ زكرياء عن ابن حجر بسنده المعروف، ويسند عال عن الشيخ علي المذكور، عن شيخ الفقهاء والمحدثين أحمد بن خليل السبكي⁽⁵⁾، عن نجم الدين، عن الشيخ زكرياء، عن ابن حجر.

وكما أجازني أيضا العالم الماهر، العلم الظاهر، نزيل مدينة الرسول المطهر، ومدرس حَرَمِهِ المكرم المنور، أبو العباس الشيخ أحمد بن تاج الدين، عن شيخ الإسلام، بالبلد الحرام، جمال الدين الشيخ محمد بن علان الصديقي الشافعي، عن شيخ وقته شمس الدين محمد بن أحمد الرملي⁽⁶⁾، عن الشيخ زكرياء، عن ابن حجر بسنده المتصل، وطرقه المعروفة إلى رسول الله ﷺ.

وكما أجزته أن يروي عني هذه المنظومة ويشرحها إن أمكنه أو من أهله الله لذلك، وله الأجر التام، والفضل السابغ العام، وهذا أولها:

(1) هو إبراهيم بن الحسن بن علي أبو إسحاق اللقاني المالكي المصري توفي سنة 1041 هـ، انظر المحبي، خلاصة الأثر 1 / 6.

(2) هو عبد الرحمن بن شحادة المعروف باليميني الشافعي توفي سنة 1050 هـ، انظر المحبي، خلاصة الأثر 2 / 358.

(3) هو سالم بن محمد عز الدين بن محمد ناصر الدين بن عز الدين بن ناصر الدين بن عز العرب أبو النجاة السنهوري المصري المالكي توفي سنة 1015 هـ، انظر المحبي، خلاصة الأثر 2 / 204.

(4) هو محمد بن أحمد بن علي نجم الدين أبو المواهب السكندري الغيطي نجم الدين توفي سنة 983 هـ أو 984 هـ، انظر الكتاني، فهرس الفهارس 2 / 888، والزركلي الأعلام 6 / 234 وابن العماد شذرات الذهب 8 / 406.

(5) هو أحمد بن خليل بن إبراهيم بن ناصر الدين الملقب شهاب الدين السبكي الشافعي المصري توفي سنة 1032 هـ، انظر المحبي خلاصة الأثر 1 / 185.

(6) هو محمد بن أحمد بن حمزة الملقب شمس الدين بن شهاب الدين الرملي المنوفي المصري الأنصاري الشافعي توفي سنة 1004 هـ، انظر المحبي خلاصة الأثر 3 / 342 والقادري التقاط الدرر 25.

[أرجوزة لمحمد بن عبد المؤمن في العقائد والعبادات]

يقول راجي رحمة المهيمن
الحمد لله وصلّى ربّي
وبعد فالقصد بهذا الرجز
من واجبٍ لله والرسول
اللهُ مُوجودٌ قديمٌ باقى
وقائمٌ بنفسه [و]واحد
ثم الوجود صفة نفيسة
وصفة المعاني سبع قدرة
سمع كلام بصروسم
كونه قادرا مريدا عالما
ثم الذي على الإله يستحيل
والافتقار والتعدد البكم
كراهة وكونه أصما
وكارها وميتا وأبكما
والعالم الحادث قد دلّ على
لو انتفى القدم كان حادثا
فيلزم الدور أو التسلسل
نفي البقا مستلزم نفي القدم
لو مائل الخلق الحدوث يلزم
لو لم يقم بنفسه كان صفة

محمد نجل ابن عبد المؤمن
على النبي وآله والصحب
جمع المهّم بكلام موجز
ومن فروع لذوي التحصيل
مخالف للخلق بالإطلاق
ذاتا وفعلا صفةً يعتد
والخمسة الأخرى غدت سلبه
علم حياة وكذا الإرادة
سبعاً بمعنوية في النظم
حيا سميعا مبصرا مكلّما
العدم الفنا الحدوث والمثيل
عجز وجهل موت العمى صمم
وعاجزا وجاهلا وأعمى
وجائز فعل وترك فاعلها
وجود رب الخلق جل وعلا
مفتقرا لمحدّث كن باحثا
ونفي عالم كذاك يحصل
إن ثبت القدم ينتفي العدم
فينتفي البقاء ثم القدم
فاحتاج للمحل يا ذا المعرفه

ثم الصفات لم تقم بثان
وبها يتصف الرب الكريم
وينتفي العالم مع تعدد
هذا إذا ما اتفقا وعندما
وينتفي العالم إذ ما ينتفي
وقدرة ونقصه جل لدى
لو انتفى جواز فعل الممكن
لرسل أوجب صدقا الأمانة
وكذبا كتماننا أما الأول
وغيره حجته لمن فطن
جاز عليهم ما يجوز للأنام
حجته العيان للذي حضر
والأنبيا أفضل من رسل الملك
النسفي² وصالحوهم فضلوا
ويجمع القول الذي سقناه
معناه الاستغناء والافتقار
هذا تمام القول في العقائد
شرط الوضوء عشرة وأربعة
أولها الإسلام ثم فقد ما
ثم انتفا وجود مانع وإن

من معنوية ولا المعاني
ليس إذن بصفة جلّ العليم
لعجز ذاك حيثئذ فاستفد
يختلفان ظاهرا فلتعلما
علم إرادة حياة فاعرف
فقد كلام بصر سمع بدا
لأنقلب حقائق فاستبن
تبليغا أيضا وأحل خيانة¹
فالمعجزات حجة يارجل
كون القبيح فيها صار حسن
من عرض إن لم يخلّ بالمقام
والنقل للآتين فافهم الخبر
ورسلهم من صالحى الإنس سلك
على الملائك إذا لم يرسلوا
قولك لا إله إلا الله
له على عباده اقتدار
وهاك في الفروع ذي الفرائد
لصحة أو لوجوب أو معه
يمنع مثل حائل وصول ما
أردت علم الثاني منها فاستبن

(1) كذا بالأصل، وهي لا تستقيم وزنا، ولعل الشطر هكذا: تبليغا أيضا أحل الخيانة.

(2) هو عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن علي بن لقمان النسفي السمرقندي نجم الدين أبو

حفص الحنفي توفي سنة 537 هـ انظر الداودي طبقات المفسرين ص 306.

دخول وقت لصلاة وإدكار
والحدث الثابت والشك كذا
بلوغ دعوة وعقل وانقطاع
وجود كافي الماء، وفقد النوم
والفرض نية ووجهه ويد
والفور أيضا ثم هاك سننه
ترتيب فرض ثم فرض الغسل
ذلك وتخليل وفورنية
مسح الصماخين مع استنشاق
ضربة بدء نية وجهه يد
سننه تجديد ضرب فاقتد
شرط الوجوب للصلاة فاعلما
وشرط ضحة طهارة الحدث
ترك كثير الفعل واستقبال
وللوجوب فاعلمن والصحة
قطع دم الحيض مع النفاس
وجود ماء أو صعيد فاستفد
وفرضها النية والإحرام
ونية الصلاة ثم الاقتدا
كذا السجود وقيام للركوع
ثم جلوس الشخص بين السجودات
سننها جهر بإحرام سلام

عدم إكراه وسهو واقتدار
وزد بلوغا ثم ثالثا خذا
دم حيض أو نفاس لا نزاع
والغسل كالوضوء في ذا الحكم
رأس ورجل ثم ذلك يقصد
يدافما أنفا ورأسا أذنه
تعميمك الجسد فافهم أصلي
سننه غسل يد مضمضة
فرض تيمم على اتساق
للركوع فور وصعيد يصعد
رتب ومن ركوع لمرفق اليد
عدم إكراه بلوغ علما
مع خبث والستر فافهم ما أثبت
كذلك الإسلام به الكمال
دخول وقت وبلوغ دعوة
عقل وغير نائم وناسي
بيانها ثم على ذا فاعتمد
فاتحة وهما القيام
خفض ورفع وركوع قصدا
ثم السلام وجلوس للوقوف
ثم اعتداله بكل الواجبات
تشهد وسورة مع القيام

سر وجهر والجلوس الأول
وكل تسميع وتكبير ورد
وسترة وزائد اطمئنان
قبل السلام ولزيد بعده
وتجب الزكاة إن دين فقد
ثم الصيام واجب بنيه
وترك شهوة الطعام والجماع
وواجب الحج طواف والوقوف
وعمرة كذا سوى الوقوف
سننه الركوع والتلبية
مشي طواف ثم تقبيل الحجر
ورمل إسراع سعي وصعود
ثم البيت بمنى مزدلفة
ثم الدعاء بيومها والمشعر
وترك طيب ونساء ومخيط
فهاك نظما موجزهما
ثم الصلاة والسلام التالي

وماتقدم السلام يافل
على الإمام ثم إنصات ورد
لترك السنة سجدتان
ومعها قبل فحقق قصده
وتم ملك ثم حول وعدد
وعلم شهر نلتهم الأمنية
مع المقدمات فاترك النزاع
والسعي والإحرام للرب الرؤوف
ليس من الفرض على المعروف
غسل وإنقاء كذاك لبسة¹
وسوق هدي والدعاء المعبر
على الصفا ثمت يدعو ويعود
والجمع فيه وكذا بعرفة
ورمي جمرة حلاق ياسري
والصيد أيضا وكذا كل محيط
حوى المراد عملا وعلمها
على النبي وصحبه والآل

انتهت الأرجوزة البارعة، الواردة موارد الإبداع ومشارعه، وكفى بنظامها
الغريب، دليلا على أن لصاحبها في الأدب والعلم اليد الطولى والباع الرحيب، وبعده
بخط الشيخ - أبقاه الله -:

1. كذا بالأصل وفيه خلل.

الحمد لله قد أتمها كاتبها بحضرة كاتبه محمد بن محمد بن عبد المؤمن - وفقه الله بمّته - في ضحى يوم الجمعة الثالث والعشرين [23] من جمادى الآخرة عام أربعة وتسعين وألف [1094 هـ / 1682 م]، انتهى.

[نص إجازة الشبراملسي لمحمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري]

ونص إجازة شيخه المولى الشيخ علي الشبراملسي⁽¹⁾ المشار إليها في هذه الإجازة، حسبا كتبت ذلك من خط شيخنا العلم، الذي أربى على كل من كتب في هذا العصر بقلم، العلامة الحافظ الدرّاعة أبي عبد الله سيدي محمد بن المولى أبي العباس سيدي أحمد عُرف بالكمّاد القسنطيني⁽²⁾ - حفظه الله - من غمرات الزمان، وأدام النفع به لكل قاص ودان:

«حمدا لمن أطلع في سماء الفضائل شموسا وأقمارا، ورفع لمن شاء من عباده عن وجوه عرائس المعاني أستارا، وصلاة وسلاما على سيدنا محمد الذي أبدى وأبدع أسراراً، وبلغ بحكمته أوطارا، وعلى آله وأصحابه الذين كساهم الله بالمعارف وقارا، وبعد: فإن العلم أشرف شيء يتحلى به الإنسان، وأعظم وصف يتكّمّل به الأعيان، وقد ورد في فضل العلم والعلماء ما هو مقرر مشهور، ومعروف بين أهله ومأثور، فمن ذلك قول الله في محكم الآيات: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: 11)، وقوله في كتابه المكنون: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: من الآية 9)، وقول النبي عليه السلام: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع»⁽³⁾، ثم إن العلوم وإن تفاوتت أقدارها، وعظمت لدى النفوس

(1) في الأصل المطبوع الشرمسلي الصواب الشبراملسي.

(2) هو محمد بن أحمد أبو عبد الله الكمّاد القسنطيني المالكي توفي سنة 1116 هـ انظر القادري التقاط الدرر 293 والحفناوي تعريف الخلف 2 / 353.

(3) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في مسنده من حديث صفوان بن عسال رقم: 17398.

أخطارها، فعلم الحديث من بينها هو الحقيق بأن يُشَمَّرَ له ساق الجدِّ والعناية، لأنه يحتاج إلى إتقان الرواية قبل الدراية، وقد بذل السلف الصالح في ذلك همهم العلية، وأفكارهم الأملعية، حتى تميزت الأحاديث الصحيحة من الضعيفة، وبلغوا بذلك المراتب الرفيعة الشريفة، ثم تقاصرت الهمم، فلم يبق إلا ما اختصَّ الله به هذه الأمة من بين سائر الأمم، من بقاء الإسناد، حفظا للشريعة الغراء إلى يوم التناد، والإسناد أصل عظيم، وخطر جسيم، وقد قال فيه بعض العلماء: «إنه كالسيف للمقاتل»، وقال بعضهم أيضا مشيرا إليه: «إنه كالسلم يصعد عليه»، وشيوخ الإفادة آباؤه في الدين، ووصلة بينه وبين رب العالمين.

وفي أول صحيح الإمام مسلم عن عبد الله بن المبارك: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء». وقال إمامنا الشافعي: «الذي يطلب الحديث بلا سبب كحاطب ليل يحمل الخطب وفيه أفعى، وهو لا يدري»، وقال الإمام الطوسي⁽¹⁾: «قُرْبُ الأَسَانِيدِ قُرْبٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى»، هذا وإن ممن ضرب في العلم بنصيب وافر، وحصل منه على القدر المفيد الظاهر، الشيخ الفاضل الرَّحْلَةُ⁽²⁾ العلامة الفهامة الكامل، طراز العصابة الهاشمية، فرع الشجرة الزكية، صاحب النفس القدسية، السيد محمد بن السيد محمد بن السيد عبد المؤمن الجزائري - وفقه الله وأصلحه، وأحسن سعيه وأنجحه -، فقد حضر إليَّ، وقرأ عليَّ، ما تيسرت قراءته من صحيح الإمام البخاري قراءة أجاد فيها واستجاد، وأفاد واستفاد، ثم التمس منِّي أن أجزئه برواية ما رواه عني، وبما قرأه وسمعه مني، فاستخرت الذي ما خاب من استخاره، وأجزته برواية ذلك، وبرواية جميع ما تحل لي روايته من «صحيح الإمام البخاري»،

(1) هو محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد أبو الحسن الكندي مولا هم الخرساني الطوسي توفي سنة 242 هـ، انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء 12 / 195.

(2) الرَّحْلَةُ: الذي يرحل إليه، ويقصده الطلاب من مختلف الآفاق بغية الرواية عنه والاستفادة منه.

ومن «صحيح الإمام مسلم»، ومن «الشفاء»⁽¹⁾ للقاضي عياض، ومن «الجامع الصغير» للجلال السيوطي⁽²⁾ ومن غيرها من الكتب الحديثية، «المواهب اللدنية»⁽³⁾، ومن التفاسير والعلوم العقلية والاعتقادية، بشرطه المفيد عند أهل الحديث والأثر، نفعه الله بالعلم والعمل والتقوى، فإنه بخيري الدارين العروة الوثقى، والسبب الأقوى، ثم إنني أعرف أنني أخذت العلوم الشرعية العلمية والعملية، وآلتها العقلية والنقلية، أخذ دراية، وبحث وتحقيق وإتقان رواية، مع جدّ وثبت وإحكام وإتقان، حسب الطاقة والإمكان، عن أئمة أعلام، وجهابذة كرام، يُضَوِّعُ نشرهم، ويطول ذكرهم، وأسانيدهم في غاية الظهور والاشتهار، كالشمس رابعة النهار، أذكر ما تيسر ويقرب تناوله روما للاختصار، اقتباسا من أنوارهم، واقتفاء لأثارهم، -رضي الله عنهم وأرضاهم-، فأقول وبالله التوفيق والهداية إلى سواء الطريق.

أما «صحيح الإمام البخاري» فأني أرويه سماعا للكثير منه وإجازة لسائره عن جمع كثير، من أجلهم: العلم الفرد الشهير، شيخ المحدثين في زمانه، فريد عصره وأوانه، الشيخ إبراهيم اللقاني، وشيخ الإقراء، طيب النشر، حرز الأمان، الشيخ عبد الرحمن البياني، بروايتها معا عن أبي النجاة سالم السنهوري بقراءته لجميعه على العلامة الفقية رحلة المحدثين، محمد نجم الدين الغيطي، بروايتها له عن شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري بسنده المعروف.

(1) المسمى الشفا بتعريف حقوق المصطفى تأليف عياض ابن موسى بن عياض أبو الفضل اليخُصبي، الأندلسي الأصل، ثم المغربي السبتي المالكي توفي سنة 544 هـ انظر النباهي المرقبة العليا 115 وابن مخلوف شجرة النور 1 / 140.

(2) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن عثمان الخضير جلال الدين أبو الفضل السيوطي، توفي سنة 911 هـ انظر العيدروس، النور السافر 90.

(3) المسمى المواهب اللدنية بالمنح المحمدية تأليف أحمد بن محمد شهاب الدين أبو العباس القسطلاني المصري الشافعي المصري توفي سنة 923 هـ انظر الغزي الكواكب السائرة 1 / 126 والكتاني فهرس الفهارس 2 / 967.

وأرويه أيضا عاليا كذلك عن شيخ الفقهاء والمحدثين الشهاب أحمد بن خليل السبكي، عن النجم الغيطي، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري⁽¹⁾ عن الحافظ ابن حجر⁽²⁾، عن الحافظ الكبير أبي الفضل عبد الرحيم العراقي، عن الجمال عبد الرحيم عرف بابن شاهد الجيش⁽³⁾، عن أبي العباس أحمد بن علي الدمشقي⁽⁴⁾، عن أبي القاسم هبة الله بن علي البوصيري⁽⁵⁾، عن أبي عبد الله محمد بن بركات، ويقال ابن هلال السعدي⁽⁶⁾ النحوي اللغوي، عن أم الكرام كريمة بنت أحمد المروزية⁽⁷⁾، عن أبي الهيثم الكشميهني⁽⁸⁾،
 عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الفربري⁽⁹⁾، عن مؤلفه الإمام الحجة محمد بن إسماعيل البخاري.

(1) هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي زين الدين أبو يحيى الشافعي توفي سنة 926 هـ انظر ابن العماد، شذرات الذهب 8 / 134.

(2) هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الأستاذ إمام الأئمة الشهاب أبو الفضل الكناني العسقلاني المصري ثم القاهري الشافعي ويعرف بابن حجر توفي سنة 852 هـ انظر السخاوي الضوء اللامع 2 / ص 104.

(3) في الأصل شاهر، والصواب شاهد وهو عبد الرحيم بن عبد الله بن يوسف الأنصاري جمال الدين أبو علي المصري المعروف بابن شاهد الجيش توفي سنة 746 هـ انظر أبو الطيب الفاسي ذيل التقييد ج 2 / 109.

(4) هو أحمد بن علي بن يوسف الدمشقي، أبو العباس توفي سنة 670 هـ انظر الذهبي، المعين 210.

(5) هو هبة الله بن علي بن سعود بن ثابت بن هاشم بن غالب الأنصاري الخزرجي، المنستيري الأصل البوصيري توفي سنة 598 هـ انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء 21 / 390.

(6) هو محمد بن بركات بن هلال بن عبد الواحد السعدي أبو عبد الله المصري الأديب توفي سنة 520 هـ انظر الذهبي السير 19 / 455.

(7) هي كريمة بنت أحمد ابن محمد بن حاتم المروزية أم الكرام توفيت سنة 463 هـ انظر الذهبي سير أعلام النبلاء 18 / 233.

(8) هو محمد بن المكي بن محمد بن زراع بن هارون أبو الهيثم الكشميهني توفي سنة 389 هـ انظر السمعي الأنساب 5 / 76، والذهبي سير أعلام النبلاء 16 / 491.

(9) هو محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر أبو عبد الله الفربري توفي سنة 320 هـ انظر السمعي الأنساب 4 / 359.

وأما «صحيح الإمام مسلم»، فإنني أرويه كذلك عالياً عن جماعة من أجلهم العلامة المتقن المتقن المسند المعمر شيخ المالكية، أبو الحسن علي الأجهوري⁽¹⁾، عن العلامة بدر الدين القرافي⁽²⁾، عن الجلال السيوطي، عن شيخ الإسلام علم الدين صالح⁽³⁾ بن شيخ الإسلام السراج البلقيني⁽⁴⁾، عن أبي الفضل سليمان بن حمزة المقدسي، عن أبي الحسن علي بن الحسين المغربي، عن الحافظ أبي الفضل السلامي⁽⁵⁾، عن الحافظ أبي القاسم بن منده⁽⁶⁾، عن الحافظ أبي بكر الجوزقي⁽⁷⁾، عن أبي الحسن مكّي النيسابوري، عن مؤلفه الإمام الحجة مسلم بن الحجاج - رحمه الله -، قال الجلال السيوطي: قال الحافظ بن حجر: هذا السند في غاية العلو، وهو جمعيه بالإجازات.

وأما روايتي «للشفا» للقاضي عياض، فإنني أرويه سماعاً للكثير منه، وإجازة لسائره، عن شيخنا شيخ الإسلام، خاتمة الأئمة الأعلام، الشيخ إبراهيم اللقاني، عن أبي النجاة الشيخ سالم السنهوري، بسنده المعروف إلى مؤلفه.

(1) هو علي بن زين الدين محمد بن أبي محمد زين الدين عبد الرحمن بن علي الأجهوري المالكي المصري توفي سنة 1066 هـ، انظر المحبي خلاصة الأثر 3 / 157. وابن مخلوف شجرة النور 1 / 303.

(2) هو محمد بن يحيى بن عمر بن يونس الملقب بدر الدين القرافي المالكي المصري توفي سنة 1008 هـ انظر المحبي خلاصة الأثر 4 / 258.

(3) هو صالح بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح القاضي علم الدين الكتاني الشافعي العسقلاني البلقيني توفي سنة 868 هـ، انظر ابن الحمصي حوادث الزمان 101.

(4) هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح السراج البلقيني شيخ الإسلام ابن شهاب الدين ابن عبد الخالق بن عبد الحق الكتاني البلقيني نزيل القاهرة توفي سنة 805 هـ، انظر ابن حجر إنباء الغمر ج 5 / ص 107.

(5) هو محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر الحافظ أبو الفضل السلامي توفي سنة 550 هـ انظر السيوطي، طبقات الحفاظ 1 / 467.

(6) هو عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن منده الأصبهاني أبو القاسم توفي سنة 470 هـ، انظر ابن كثير البداية والنهاية 12 / 127.

(7) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا ابن الحسن الجوزقي، النيسابوري، الشيباني أبو بكر توفي سنة 388 هـ، انظر الذهبي تذكرة الحفاظ 3 / 1013.

وأما روايتي « للجامع الصغير » للسيوطي، فإنني أرويه عن جماعة، منهم شيخنا الفهامة الشيخ علي الحلبي⁽¹⁾ عن شيخ الشافعية على الإطلاق، ولي الله بالاتفاق، الشيخ نور الدين علي الزيايدي⁽²⁾، والبرهان العلقمي⁽³⁾. أما الزيايدي فعن الشيخ السند الشريف يوسف الأرميوني⁽⁴⁾، عن مؤلفه، وأما العلقمي فعن أخيه شمس العلماء الأعلام، محمد⁽⁵⁾ مؤلف الحاشية⁽⁶⁾، عن مؤلفه، وبحق رواية شيخنا الأجهوري إجازة عن النور علي القرافي⁽⁷⁾، عن مؤلفه الجلال السيوطي، إجازة.

وأما روايتي لبقية مروياتي من الكتب الحديثية، فإنني أرويه بالطرق المتقدمة في سند البخاري، ونعيدها أيضا إلى شيخ الإسلام زكرياء، ثم منه إلى مصنفي تلك الكتب. وأما روايتي لبقية مروياتي من التفاسير والعلوم العقلية والاعتقادية، فإنني أرويه عن أئمة أجلاء، محققين مدققين، منهم بعض من تقدم ذكره، ومنهم شيخ الإسلام، علامة الأنام، الشيخ محي الدين، عن جده جمال الدين يوسف، عن والده شيخ الإسلام، عن أئمة أجلاء محققين، ومنهم الشيخ فخر الدين الشنواني، ومنهم الشيخ

(1) هو علي بن إبراهيم بن أحمد ابن علي بن عمر الحلبي الشافعي المصري توفي سنة 1044 هـ، انظر الكتاني فهرس الفهارس 1 / 344.

(2) هو علي بن يحيى الملقب نور الدين الزيايدي الشافعي المصري توفي سنة 1024 هـ انظر المحبي خلاصة الأثر 3 / 195.

(3) هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر برهان الدين العلقمي الشافعي توفي بعد سنة 994 هـ انظر ابن العماد الحنبلي شذرات الذهب 8 / 433 والخفاجي في ریحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا 2 / 37.

(4) يوسف بن عبد الله بن حسن الأرميوني توفي سنة 940 هـ، انظر إسماعيل باشا البغدادي هدية العارفين 6 / 564.

(5) هو محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقمي، شمس الدين الشافعي، وفاته سنة 963 تقريبا، نظر ابن العماد شذرات الذهب 8 / 338.

(6) سم شرحه: الكوكب المنير بشرح الجامع الصغير.

(7) هو علي بن أحمد بن علي بن عبد المهيم بن حسن الشافعي القاهري توفي قبل 980 هـ انظر الغزي كواكب السائرة 1 / 445.

علم الدين سليمان البابلي⁽¹⁾، ومنهم الشيخ سالم الشبشيري⁽²⁾، ومنهم خاتمة المحققين الشيخ أحمد الغنيمي⁽³⁾، ومنهم الشيخ عبد الرحمن الخياري⁽⁴⁾ نزيل المدينة المنورة، ومنهم غير هؤلاء أيضا ممن يتصل بسند شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري - رحمه الله -، وبالشيخ نجم الدين الغيطي، وبالشيخ جلال الدين السيوطي، ثم منهم إلى مؤلفي تلك الكتب، وسندهم بذلك معروف مشهور، ضاعف الله لنا ولهم الأجور بمنه وكرمه آمين.

وأجزته أيضا أن يفيد ذلك لمن شاء، متى شاء، في أي وقت شاء، إجازة عامة بشرطه المعتبر - نفعه الله تعالى ونفع به -، هذا والمرجو من فضل الله وكرمه أن يجعلنا من المخلصين، وأن يحشرنا في زمرة أجمعين، مع الذين أنعم الله عليهم من الصديقين، والحمد لله رب العالمين.

قاله الفقير علي الشَّبراَملي الشافعي خادم السنة المطهرة بالجامع الأزهر المعمور بذكر الله العلي الأكبر، في أوائل ربيع الأول من شهر سنة ثلاث وثمانين وألف [1083 هـ / 1672 م]، من هجرة من له العز والشرف، وكتبه عنه بإذنه الفقير أحمد السنهوري⁽⁵⁾ الشافعي، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

انتهت الإجازة المباركة، وبانتهاؤها تنتهي ترجمة مولانا الشريف، المحقق الظريف، شيخنا أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد المؤمن أبقاه الله في حلل السيادة رافلا، وجمعني به عاجلا، إنه على ذلك قدير، وبإجابة من يدعوه جدير، اللهم يا من نضر

(1) سليمان البابلي الشافعي المصري توفي سنة 1026 هـ، انظر المحبي خلاصة الأثر 2 / 212.

(2) هو سالم بن حسن الشبشيري الشافعي توفي سنة 1018 هـ، انظر المحبي خلاصة الأثر 2 / 202.

(3) هو أحمد بن محمد بن علي شهاب الدين بن شمس الدين بن نور الدين المعروف بالغنيمي الأنصاري الخزرجي الحنفي المصري توفي سنة 1044 هـ، انظر المحبي خلاصة الأثر 1 / 312.

(4) هو عبد الرحمن بن علي بن موسى بن خضر الخياري الشافعي توفي سنة 1056 هـ انظر المحبي خلاصة الأثر 2 / 367.

(5) هو أحمد بن محمد السنهوري توفي سنة 1016 هـ انظر المدني اليواقيت الثمينة 23.

مرآه، وألبسه من نور جده ﷺ وسناه، مَتَّعِنِي بِصَحْبَتِهِ، ولا تحرمني من شعاع غرته، بجاه جده المختار، سيدنا ومولانا محمد سيد الأبرار، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ما طلعت أقمار، وهمعت أمطار.

[ذكر أبي عبد الله محمد بن سعيد بن إبراهيم بن حمودة الجزائري عرف بقدورة]

ومنهم الإمام العلامة المفتي أبو عبد الله سيدي محمد⁽¹⁾ بن الإمام الأكبر ذي الفضائل المشهورة أبي عثمان سيدي سعيد بن إبراهيم عرف بقدورة⁽²⁾، أتم الله نوره، شيخ الفقه والحديث، ووارث الشرف القديم والحديث، تفرع من شجرة علم، وتدرج برود وقار وحلم، فمحلّه من الجزائر، محل السواد من الناظر، انتهت إليه خطابتها وفتياها، وحصلت في يديه آخرتها وديناها. فإليه يهرع عند اشتباه النوازل، ويفزع عند اشتداد الزلازل، وعليه يعتمد في رواية الآثار، وتصحيح أسانيد الأخبار، إلى فصاحة ولسن، جرى بهما في ميدان الإبداع طلق الرسن، وحلاوة وطلاوة، ألان بهما قلب كل ذي قساوة، وعبارة عليها رونق ونضارة، ولسان خلوب، يقود عصابات القلوب، هذا مع أنه لم يرتضع أخلاف الأدب، ولم يصطبح بسلافه المزري بالضرب، أما لو التبس بمور ذلك المور، واقتبس من نور ذلك الغور، فلا يمتري في أنه يطاول أهل المشرق والمغرب، ويصير نظيره كعنقاء مغرب⁽³⁾، وإمامة والده أبي عثمان⁽⁴⁾، هي التي أرقته على غيره من الأعيان، وأولته المراتب الخطيرة، والفضائل الشهيرة.

(1) هو محمد بن سعيد بن إبراهيم قدورة، أبو عبد الله توفي سنة 1107 هـ انظر ابن المفتي التقييدات ص 101.

(2) هو سعيد بن إبراهيم المعروف بقدورة الجزائري الدار، أبو عثمان توفي سنة 1066 هـ انظر الحفناوي تعريف الخلف ج 1 / 66 والإفراني صفوة من انتشر 220.

(3) عنقاء مغرب: يقال: أعز من عنقاء مغرب، قال الجاحظ: الأمم كلّها تضرب المثل بالعنقاء في الشيء الذي يسمع به، ولا يرى، كما قال أبو نواس:

وما تُخْبِرُهُ إِلَّا كَعَنْقَاءِ مَغْرِبٍ يَصُورُ فِي بُسْطِ الْمَلُوكِ وَفِي الْمَثَلِ

وهنا يقصد بأن شيخه عزيز الوجود كعنقاء مغرب، انظر الثعالبي، ثمار القلوب 324.

(4) هو سعيد بن إبراهيم أبو عثمان المعروف بقدورة الجزائري المالكي توفي سنة 1066 هـ انظر الإفراني صفوة من انتشر 220 والقادري التقاط الدرر 139 والحفناوي تعريف الخلف ج 1 / 66.

سعى معشر كي يلحقوه فبرزت به غرر مشهورة وعلائم
سمعت من إملائه في مجلسه الخطير، جملة وافية من «الجامع الصغير»، وأبوابا من
«صحيح البخاري»، يحمد موارد المثلج والساري، سماع دراية، وتحقيق رواية،
فرأيت من ظرفه ولطفه ما سحر وبهر، وتنزهت من فهمه وحفظه في جنة ونهر، ولما
أزف رحيلي، طلبت منه أن يجيزني بما ينفع غليلي، فأبعد أن يكون من أهل هذا الطريق،
واعتذر بعذر ذهب من اللطافة في كل طريق، فلم أزل ألح عليه في الطلب، ويمد إلي
من الموعد بسبب، حتى كنت من الظعن على قرب، فكتبت إليه:

[قصيدة للمؤلف في استعطافه ومدحه]

قد آن أن ينجز الوعد الذي وعدا	من لا نرى حازما قد حازه أحدا
ومن حوى العلم والمجد الصراح معا	ومن روى عن أبيه البرّ والرشدا
سمي خير الورى مفتي الجزائر من	من بحره اغترفت أخبارها مددا
مولاي أسرفت في إنظار منتظر	إجازة وهي أسنى ما به اعتضدا
لا تمطلنه ففي مطل الغني أتت	أثار صدق بأن الظلم فيه بدا
وأنت أعلم أهل العصر قاطبة	بها ومن لم يقل هذا فقد جحدا
أجز وأنجز فلا عريت من شرف	إجازة لم تغادر لكم سندا
إذا ظفرت بها أنشد من طرب	بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا
يا أيها البحر إلا أن لجته	ترمي الفوائد والأحكام لا الزبدا
أبقاك ربى ذا حال يغصّ بها	من راح يضمّر بغضا لكم وغدا
ولا يزال سلام كالعبير شذا	يأتيك ما هاج طيرا شجوه فشدا

وذيلتها بكلام لا أستحضره في هذا المقام، فأجازني -رضي الله عنه- إجازة مطلقة، استوفى إيجازها في ميدان البلاغة طلقه، وهذا نصها:

[إجازة أبي عبد الله محمد بن سعيد بن إبراهيم قدورة للمؤلف]

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً، قد أجت الفقيه النبيل الأصيل، المقتني ذخائر نفيس العلوم، ونفيس ذخائر الفهوم، بالغدو والأصيل، المحصل لخصال الكمالات كل التحصيل، حائز قصبات السبق في ميادين البلاغة على الإجمال والتفصيل، العلامة النحرير السيد [أبا]⁽¹⁾ عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد الفاسي المعروف بابن زاكور، كان الله لنا وله دنيا وأخرى، وأجزته إجازة مطلقة تامة عامة على شروطها المتعارفة عند العلماء القائلين بها في جميع مقروءاتي معقولا ومنقولا، توحيدا ونحوا، فليحدث بذلك إن أحب عن أشياخي وأشياخهم إلى المؤلفين، نفعني الله وإياه بهم آمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين، وكتب العبد الفقير إلى الله شاكره دائما على ما أسداه وأولاه: محمد بن سعيد بن إبراهيم بن حمودة الجزائري، وفقه الله لما يحبه ويرضاه، أوائل رجب سنة أربع وتسعين بعد الألف [1094 هـ / 1682] انتهت.

قال كاتبه، سالمته أفاعي الزمان وعقاربه، هذا آخر من أجازني بمدينة الجزائر، من ولاية الأحكام ورقاة المنابر.

[ذكر أبي عبد الله ابن خليفة]

ومن لقيته بها، ووجهت خطابي إليه، إلا أنه اخترمته المنية إثر سقوطي عليه، وقبل أن يجيزني فيما لديه، الشيخ المسن البركة، الحائز قصب السبق في فنون مشتركة، شيخ

(1) ساقطة من الأصل.

المشايع، الذي له في تحقيق العلوم قدم راسخ، أبو عبد الله بن خليفة، لا زال رضوان الله حليفه، هو وإن شُرُست أخلاقه، ولم يَحُلْ مذاقه، وضاقَت أكنافه، ولم ترد بحار الكمال أوصافه، فاضل علامة، رحالة مجذامة، صحب في تحصيل العلم الصالح والطالح، وركب في تطلبه العذب والمالح، وما برح يكابد لأجله حرة تحتها قررة، ويسينغ من أشربة الاغتراب المُرَّة⁽¹⁾ والمرَّة، حتى ظفر بما يذكر به، ما اختلفت الدررة والجررة، فتوشح ببيضه الرقاق، أثناء مصاحبته الرفاق، وخبز من دقيقه الجردق⁽²⁾ والرقاق، أيام جولانه في الآفاق، دخل مصر وهو غلان، لسلسيل البيان، فكرع في غديره، حتى تضلع من نميره، وأحرم بمطافه، حتى ترَوَى من نطافه، فأب إلى الجزائر بعد أن ألحم من أسراره وأشحم، واقتبس من أنواره ما ينجلي به الليل الأسحم، وجيده بعقوده محلي، وقد فاز من قداحه بالرقيب والمعلى، فتصَيَّع⁽³⁾ بين جداولها بحرا، وطلع في سماء معارفها بين دراريها بدرا، وتصدَّى للتدريس والتصنيف، وتردى بحُلَّتِي التقديس والتشريف، وتميز بين أولئك الأعيان، بحمل راية البراعة والتبيان، وصال على الجميع، بألوية محسنات البديع، ومع هذا فنسبته من شيخنا أبي حفص أبقاه الله - وإن كان أكبر منه سنا - نسبة الحفر من البحر، والطل من الوَبَل⁽⁴⁾.

قال كاتبه - حسنت سيره ومذاهبه -: اجتمعت به مرارا، والتقطت من فوائده دررا كبارا، وأعلمني بشرحه على «السلم المرونق»⁽⁵⁾، وندبني إلى كتبه وشوق، وأخبرني - رضي الله عنه - لما رآه من نشيتي وحرصتي، أنه لقي بمصر الشيخ المحقق العلامة

(1) المُرَّة: هو طعم بين الحلاوة والحموضة.

(2) الجردق بالفتح الرغيف.

(3) تصَيَّع: هاج واضرب.

(4) الوَبَل: المطر الشديد الضخم القطر.

(5) المسمى السلم المرونق في علم المنطق تأليف عبد الرحمن بن محمد الصغير الأخضرى المالكي توفي سنة

953هـ، انظر الحفناوي تعريف الخلف 1 / 67 وابن مخلوف شجرة النور الزكية 1 / 285.

يس الحمصي⁽¹⁾، وأخذ عنه أخذ ذوي العرفان، فنّ المعاني والبديع والبيان، وقرأ عليه «مختصر سعد الدين على التخليص»، قراءة تحقيق وتدقيق، وبحث وتمحيص، ففاز من ذلك بأوفر نصيب، وحصل منه على روض خصيب، ولما شنّف⁽²⁾ سمعي بما شنّف، اشرأبّ عزمي إلى قراءة ذلك الكتاب عليه وتشوّف، وسلوت بذلك عن مغازلة كل مهفهف أهيف، فخاطبته راغبا في ذلك بما نصه:

[أبيات للمؤلف في مدح الشيخ ابن خليفة]

ماللبيان خليفة إلا الرضى ابن خليفة
بين لنا مقتضاه ياربّه وحليفه
بقيت فذا مفيدا غر المعاني الشريفة
يا بحر علم طمى في برود حلم كثيفة

وذيلتها بما نصه: سيدي أبقاكم الله سالمين، ولعري المعاني الرقيقة فاصمين، يرغب كاتبه أفقر العبيد، إلى ذي العرش المجيد، من هو في قبائح أوزراه مأسور، محمد بن قاسم بن محمد الفاسي عرف بابن زاكور، أن تتحفوه بقربكم في بعض الأوقات بمجمع، يكون فيه بمرأى منكم ومسمع، يقرأ عليكم فيه «مختصر سعد الدين التفتزاني⁽³⁾»، على تلخيص مفتاح البيان والبديع والمعاني»، وغرضه الأخذ عنكم، والتماس البركة منكم، فأنتم بدور كمال هذه الآفاق، أمّنها الله من الأفول والمحاق، والله سبحانه يحسّن المقاصد والنيات، ويسهل النتائج على من شرع في المقدمات،

(1) هو يس بن زين الدين بن أبي بكر بن محمد بن الشيخ عليم الحمصي الشافعي توفي سنة 1061هـ، انظر المحيي خلاصة الأثر 4 / 491.

(2) أي أطرب سمعي.

(3) هو مسعود بن عمر التفتازاني الحنفي توفي سنة 791هـ انظر ابن حجر الدرر 4 / 350.

بجاه نبيه الكريم ورسوله الرؤوف بالمؤمنين الرحيم، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أهل الدين القويم، ورضي الله تعالى عن من نهج صراطهم المستقيم، إلى يوم لا يغني فيه حميم عن حميم، ولا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ولا زال سلامنا العاطر، المفروح لشذا الروض الماطر، تترى عليكم نفحاته، ورحمة الله وبركاته، انتهى.

فوعدني -رضي الله عنه- بالإسعاد في رغبتني، والإسعاف في طلبتي، حين يختم تفسير القرآن المجيد، وكان من ذلك الغرض غير بعيد.

فلما أورده أمله منهله، حضره أجله وما أمهله، فاقتطفته المنية، إثر بلوغ تلك الأمنية، وتاقت نفسه إلى التنعم في رياض الجنة باجتناء وقطف، يوم الأربعاء في عقب ربيع الثاني من شهور أربعة وتسعين وألف [1094هـ / 1682م] فاغربت لفقده تلك البلاد، ورميت على أثر ثكله بدهية نناد، وزحف إليها الهول بالضحّ والريح، وغادر أهلها بين قتيل وجريح، ما كان إلا ريثما أنزلوه عن تلك الذرى، وأودعوه بطن الثرى، حتى التَّخَّ⁽¹⁾ أمرها، وغص بسفائن النصارى⁽²⁾ بحرها، فزلزلوا قصورهم النواضر⁽³⁾، بصواعق أمثال القناطر، ورجموا مصانعهم العادية، بشهب هندوانية

(1) التَّخَّ عليهم الأمرُ أي اختلَطَ.

(2) تسمى: حملة الأميرال دوكين (Duquesne) على الجزائر، ولد الأميرال دوكين سنة 1640م وتوفي يوم 01 فيفري 1688م، انظر: Léon Guérin, Histoire maritime de France Tome, 3 p 475.

(3) كان بداية الهجوم الفرنسي في أواسط صفر -فيفري من سنة 1094هـ / 1682م فبعثت أولا بطليعتها إلى الجزائر وهي ثلاث سفن متاظهرة بطلب الصلح، فأعرض عنها الداوي ولم يعرها أي التفات لعلمه بما تبطنه، ثم التحقت بالطليعة الفرنسية ما يقارب من مائة مركب مختلفة الشكل والحجم، هاجمت العاصمة في فاتح رجب -فيفري فأصابتها بستين قبلة، وفي اليوم الثاني تلقت المدينة منها ضعف ذلك، وتصدت القوات البحرية الجزائرية إلى صد هجمات العدو ومقابلتها بالمثل وكانت الخسائر من الطرفين فادحة، وكانت هذه الحملة بقيادة الأميرال الفرنسي، دوكين (duquesne). انظر الجليلي تاريخ الجزائر العام 3 / 192، وجون وولف الجزائر وأوروبا 343 ومزيديا من التفصيل انظر مقدمة دراستنا للكتاب، وملاحق رحلة ابن زاكور.

عادية، وما أدراك ماهيه، نار حاميه، لها صعقة الرعد القاصف، وسرعة البرق الخاطف، وهجوم السيل، وشمول ظلام الليل، إلى نار ترمى بشرر كالقصر، ورائحة تصرع من على مسافة القصر، اللهم قنا شرّها، وجنبا يا مولانا مكرها، اللهم ارفع عن تلك المنازل⁽¹⁾، هذه الزلازل، وغلبهم على ذلك العدو النازل، اللهم اكشف عن بدور تلك القصور، سحائب الغرور، وحُل بينهم وبين مواقع الفتن بسور، يغص به كل كفور، فييدك مقاليد الأمور، وعندك بحار الخيرات التي لا تغور.

وكفى بما ذكرناه دليلا على ديانتته وفضله وولايته، وحدثني في حياته بعض الإخوان، الملازمين له في غالب الأزمان، أنه فجع بموت ولده، وخيف من ذلك تصديع كبده، فلم يجزع لمماته، ولم يضجر لفواته، واستعان على رزيته بالصبر، ابتغاء الثواب وحصول الأجر، ما كان إلا قدر ما أدرجه في كفته، وأضجعه في مدفنه حتى أقبل إلى حلقتة، وما حبسه عنها أوار حرقتة، فقيل له في ذلك، تعجبا من فرط صبره على ذلك الهالك، فقال -رضي الله عنه-: لا أصطلي نار حرقتين، ولا أجمع بين مصيبتين، فجعل من أرزائه، ترك إقراءه، وسوّى ثكل ابنه، بعدم الإفادة في ذلك اليوم بعينه:

إذا كنت أعلم علما يقينا بأن جميع حياتي كساعة
فلم لا أكون ضنينا بها وأجعلها في صلاح وطاعة

وصدق -رضي الله عنه- فذلك هو الشكل الأكبر، والصدع الذي لا يجبر، فما أخلقه بالبكاء عليه والعويل، وأن يقال عند حصول مواعنه: حسبنا الله ونعم الوكيل، فعليه يحسن التفجع، ويطلب التوجع، لا على حظ من الدنيا مبخوس، مجبول على كدّ القلوب وتعب النفوس.

(1) - وقد كتب القنصل الإنكليزي، ريكوت إلى اللورد دارتماوث (Dartmouth): «انظر كم هي قليلة المبالة التي أعطاها هؤلاء الناس إلى القنابل الفرنسية التي أحصيت عددها فكان حوالي 6 آلاف، وأوفى المعلومات التي حصلت عليها تقدر عدد الدكاكين والمنازل التي هدمت بـ: 800 منزل»، انظر جون ب. وولف، المرجع السابق 346.

اللهم لا تجعلنا من المفتونين بطاووس خيالها، ولا تغرقنا يا مولانا في قاموس أهوالها،
اللهم اجعل لنا من ليل همها الذي سجا، فرجا ومخرجا، اللهم إنا نعوذ بك من
اجتناب كل فضيلة، وارتكاب كل رذيلة، وأن نكون يا مولانا ممن يقال فيه: أحشفا
وسوء كيلة:

إن مات فيه لا بظبي وإن عاش فحلف هوان وخزي

اللهم إنه ليس لي على الدهر حق يلطه، إلا عقل حمل العزم بطيبة وربطه، وإلقاء
وقر الشوق عن مطاه وحطه، اللهم أنعم علي باقتضاء دَينِي، وأقر بذلك عيني، وحل
بين مطل الأيام وبينني، قبل أن يفاجئني حين حيني، بجاه من اصطفتيه على العالمين،
وأرسلته إلى الخلائق أجمعين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين، فإن ذلك عليك يسير، وفضلك يا مولانا بالإجابة جدير،
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وليكن هذا المولى خاتمة من أردنا ذكره من أعلام هذه البلاد، من حاضر وباد، وإنما
لم أحفل بسواهم، ممن تبوأ ذراهم، اكتفاء بالبحار، عن الجداول والأنهار، واستغناء
بشموس النهار، عن الدراري والأقمار، وحرصا على إتيان بيوت المعارف من أبوابها،
وتلقي درر المحاسن عن أربابها، واستمساك طريق الأخذ والرواية بأوثق عراها وأمتن
أسبابها، إذ كل من سواهم ممن لم أزره، ولم أقل: له ما اسمك أذكره، أو لم يطل مقامي
لديه، ولا عرّجت في طلب الإجازة عليه، فمنهم مفرّج، وبمطارف محاسنهم مدرّج،
على أن بعض من ذكرته أصل البعض في بعض الفنون، وبحر جوهره الأسنى فيها
ولؤلؤه المكنون، لكن تفرّعه عن غيره، وتصلّعي من بحره، وصفاء درّه، هو الذي
أوجب إذاعة ذكره، وإشاعة شكره، لا زالت أنوار معارفهم تغص بها البدور، وأخبار
محاسنهم تنجد وتغور، ولا برحت حلاهم تطاول الفرائد، في أطواق الخرائد.

[خروج المؤلف من الجزائر وتأسفه على فراقها]

ثم امتطيت للنوى، عن ذلك المأوى، ثبج ذلك البحر البعيد المهوى، وحصل لي من الوجد عند فراق تلك الجزيرة، ما لم يحصل لمغيث إذ فارقت بريرة⁽¹⁾.

وقد أغذت بنا اليم جارية سوداء لا تستطيع الجري في يس
كأنها وعباب الماء يزعجها تنص جيد مراعي اللحظ مختلس
كأن بيض نواصيها إذا انتشرت لواء صبح بدا في سُدفَة⁽²⁾ الغلس

ذات صنع باهر، تركبت من السابح والطائر:

تجري فللماء ساق عائم درب وللرياح جناح طائر حذر
قد قسّمها يد التقدير بينهما على السواء فلم تسبح ولم تطر

فلم أزل في مطاها، أتلو باسم الله مجراها ومرساها، والريح يركضها في ميادين الأهوال، ويجريها في موج كالجبال، والبحر تارة يروقنا ابتهاجا، كأننا كُسي ديباجا، وأخرى يتفاقم غيظه، ويشد قيظه، ويكثر زبده، ويطول لدده، وتصطك أمواجه، ويحاكي قلب المعذب بالهجران انزعاجه، ويهولنا ما أبداه من ذلك وأفشاه، حتى نجزم بأنه يدخلنا في حشاه، إلى أن شمنا برق السلامة، وسحت علينا من سحائب النجاة غمامة.

[ذكر ابتداء سفره إلى تطوان]

فوصلنا إلى محلّ ابتداء سفرنا، ونهاية صدرنا، مدينة تطوان، ومغنى الأحاب والإخوان، -سلمها الله من طرائق البغي والعدوان-، قال كاتبه: -أنقته غمرات

(1) مغيث وبريرة كانا زوجين عبيد فعتقت بريرة، «فكان مغيث يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال النبي ﷺ لعباس يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثا فقال النبي ﷺ لو راجعته قالت يا رسول الله تأمرني قال إنما أنا أشفع قالت لا حاجة لي فيه". انظر صحيح البخاري 5 / 2023 رقم: 4977.

(1) السُدفة: ظلمة الليل.

الدهر ونوائبه-، وكان من خبرنا، في ابتداء سفرنا، أنه لما تهيأ لنا السفر، وعنّ لنا وجه السداد وظهر، وعزّمتنا على امتطاء ثبجه⁽¹⁾، ووضعنا أزوادنا بشطّ لججه، أبت سفيتتنا أن تنقاد، وبركت لنا في حلق الواد، وكان هنالك سفينة أخرى أرادت مصاحبتنا في تلك المسالك، ومرافقتنا في تلك المهالك، فخرجت في الحال، كأنها نشطت من عقال، فشدّ ذلك علينا، وكان من أعظم نعم الله لدينا، فما كان إلا ريثما حملوا متاعهم، ونشروا شرعهم، حتى قابلهم البحر بما راعهم، وغلب دفاعهم، وأبدى لهم من قطوبه، ما لا يُقدّر معه على ركوبه، واستحال نسيمهم عقيماً، وأوردتهم الزعازع عذاباً أليماً، ولما رأوا ما رأوا من عنفه، وعزّم أن يدخلهم في جوفه، راموا الخلاص، ولات حين مناص، فملكوا زمام فلکهم ذلك القاصف، والريح العاصف، فرماهم في البر، وأعقبهم فادح الضر، فخابت مخيلتهم، وعظمت مصيبتهم، وكانت غنيمتهم أن تكسرت سفيتتهم.

وأقمنا نحن هنالك أياماً نتنظر إطفاء غضبه وإخماد لهبه، وفي ذلك أقول:

يا أيها البحر مهلا فقد دهانا احتياجك
 إننا همنا بأمر منع منه ارتجاجك
 لو كنت تدري لأبدى سيما السرور ابتهاجك
 يا ليت شعري إلى كم يحكي فؤادي انزعاجك

وعندما أسفر لنا وجه ابتهاجه، وأمکننا من حثول أمواجه، طارت سفيتتنا فيه بجناح، إلى أن أوردتنا الجزائر⁽²⁾ من غير جُناح، فالحمد لله على ما أولى من الظفر، في الورد والصدر، والشكر له على النجاة من تلك الملمات التي يهون عندها الملمات.

(1) الشج: هو علو وسط البحر إذا تلاقت أمواجه.

(2) عند خروج ابن زاكور مبحراً من الجزائر أخذتهم العاصفة شرقاً إلى «حلق الواد» بتونس فعلقت سفيتتهم هناك، فركب سفينة أخرى متوجهاً إلى تطوان فمر بالجزائر ثم إلى تطوان.

[ذكر حلول المؤلف بتطوان، ولقائه بالشيخ أبي الحسن علي بن محمد بركة]

ولما حللت بتطوان -حرسها الله- وساعدني جدِّي، وزرت ضريح جدي، وشممت
غرر أهل ودي، انقشعت سحائب وجدي، وأنفقت فيها من الشعر على قدر وجدي،
فمن ذلك ما قلته.

وقد أحلنا شيخنا العلامة الفقيه، الفاضل الوجيه، الذي جعل لمطارف محاسنها
الموشية، علامة وشيئة، المصقع المدره، الذي أنار شمس الأدب وبدره، ذو اليمن
والبركة، أبو الحسن سيدي الحاج علي بن محمد بركة⁽¹⁾، إحدى جناته، قد خلع
عليها بعض صفاته، وأعارها بعض سماته، فاعتل نسيمها، وأخضل⁽²⁾ أديمها،
ورق نعيمها، وراق شميمها، وأينع زهرها، وأنضج ثمرها، وفاح شذاها، ولاح
سناها، بالمنزه المسمى بالكيتان، المطاول لغوطة دمشق وشعب بوان، ومعنا صاحبنا
الأديب الأريب، الذي حاك من برود الأدب كل قشيب، وهصر من أفنانه كل غصن
رطيب، أبو الحسن السيد الحاج علي الأندلسي عرف بمندوصة، أبقاه الله وأبنيه مجده
مرصوصة، فقلت:

تطوان وما أدراك ما تطوان سالت بها الأنهار والخلجان
قل إن لحاك مكابر في حبها هي جنة فردوسها الكيتان
وقلت أيضا:

تطوان تطوان لا شيء يضاهيها غنت بلابلها إذ سال واديها
والفجر والليل لولا بعض من فيها لما نويت رحيلاً عن مغانيها

(1) هو علي بن محمد أبو الحسن الملقب بركة المالكي الأندلسي التطواني توفي سنة 1120 هـ انظر القادري
التقاط الدرر 301.

(2) أخضل: ندي وابتل.

وهذا الكيتان من أجمل المواضع، وأفضل المنزهات والمصانع، تَطَرَّدُ خلال رياضه أنهار، تجري في الصباح بذائب اللُّجَيْنِ وفي الأصيل برائق النضار، وتسجع بأدواحه أطيّار، لا تدانيها نغمات الأوتار، قد اعتدل هواؤه، واشتمل بالابتهاج بهائه، تغص الزهراء بطلاوة مرآه، وتودّ الزوراء لو ترندي بملاءة حلاه، وتحسد جماله النضير، وطراره المرونق محاسن السدير، وبدائع الخورنق⁽¹⁾، تترتاح النفوس في بساتينه، وتحيا الأرواح بشم رياحينه، إن حلّ من أنحله الوجد برباه، صاح من حينه واطرباه، وأسلاه تسلسل غدرانه، وتغريد ورشانه، عمن قطف لبه بأجفانه، ومزق قلبه بهجرانه، فيه راق شعري، وانقدح زناد فكري، سمرت ليالي بجناته، مقتبسا من نور شياته، ومتمتعا بنغمات أطيّاره، ونسبات أزهاره، فما شمت أبدع من سناها، ولا شمت أضوع من شذاها.

واها لها من ليال هل تعود كما كانت وأي ليال عاد ماضيها
لم أنسها مذ نأت عني ببهجتها وأي أنس من الأيام ينسيها
فلا أعرج أيام حلولي بتلك المغاني إلا عليه، ولا أحن أزمان بعدي عنها إلا إليه،
فمن شعري فيه، وقد بَعُدْتُ عن مغانيه، قولي من قصيدة أولها:

[قصيدة للمؤلف في الحنين والتشوق]

قفا حدثاني عن مغان وأربع بجزع النقا بين الهضاب فأنقع
فبانة جرعاء الحمى فظبائه فأرامه اللاتي رتعن بأضلعي
وعن ذي حباب بالرياض مسلسل يسيع كما انساب الحباب بأجرع

(1) الخورنق: قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة، فبناه بنيانا عجيبا لم تر العرب مثله، واسم الذي بناه سنهار، وكان بناه في عشرين سنة. وقد ارتبط اسم الخورنق في القصص الذي شاع حوله باسم بانيه المسمى سنهار، وهو في زعم الإخباريين بناء رومي كلفه النعمان بناء القصر، فلما انتهى منه وكمل تعجب من حسنه وإتقان عمله، وبدلا من أن يوفيه النعمان وفاء حسنا، أمر به فطرح من رأس الخورنق، فمات ويضرب بهذه النهاية المثل في الأدب العربي في الجزاء السيء، فيقال: «جزاه جزاء سنهار» انظر جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 3 / 200.

فشبهه به والشمس راق أصيلها
سقى مرتع الأحباب ديمة واكف
وإني وإن أمسيت في فاس ثاويا
ديار أناخ الحسن في عرصاتها
ومنها:

رعى الله أحبابا بتطوان كلما
أحبابنا فيها هل الدهر سامح
وهل لي في الكيتان نزهة وامق
فيا نهر الكيتان جادتك ديمة
ويا منزل الأحباب لازلت أهلا
ويا جملة الأحباب مني عليكم
ذكرتهم اهتاجت شعائل أضلعي
بلقياكم قبل الحلول بشرجع¹
عسى أشتفي من لوعتي وتفجعي
من الوابل الهتان غير مصدع
بأهل العلى تزهو بكل سميذع²
سلام كأنفاس العبير المشعشع

ويشبه هذا المعنى، وإن لم يكن فيه تصريح بذلك المعنى قولي أيضا:

يا دار من أهوى رعاك الله
وغدوت في حلل النضارة تزدهي
ما كان آنق نزهة سلفت لنا
والدهر سالمنا وقل شباته
والأنس ينظم شملنا في سلكه
في جنة ما كان ألطف نشرها
ماست لدان غصونها لما شدا
وتفجرت برياضك الأمواه
وهفا عليك من الصبا أنداه
برباك إذ برق المنى شمناه
عن حربنا وأحبتني ماتاهوا
والوصل صافح يمنا يمناه
حسدت عليه أنوفنا الأفواه
شحرورها النشوان واطرباه

1. الشرجع: السرير يحمل عليه الميت، وقال الأزهري: هو النعش.

2. السميذع: هو السيد الكريم الشريف السخي الموطأ الأكناف والشجاع.

وتبسمت أزهارها لما بكى
أفشت نواسمها سرائر نورها
والروض مبتهج الأصائل والضحي
ما كان إلا ريثا انتعشت به
واغتالنا صرف الحوادث والنوى
آه لما ألقاه من وجدي على
يا ليت شعري والمنى عين الغنى
أیروض خصب الوصل بستان المنى
لوما الذي أرجوه من جمع على
ما إن تزال سحائب كمدا معي
وتحيتي موصولة كمودتي
كنواسم العهد الذي من طيبه
فبلابلي من بعده موقودة

فيها الحيا همالة عيناه
لله سر النور ما أفشاه
سقيا لذاك العصر ما أحلاه
أرواحنا حتى استرد سناه
عجبا لهذا الدهر ما أجفاه
ما قد مضى لو كان ينفع آه
والمرء قد يحظى ببعض مناه
فلطالما محل النوى أذواه
دعة قضيت كآبة لوماه
تسقى منازه أنسنا ورباه
تتري إلى من في الحشا سكناه
تذكي سعير أضعالي ذكراه
والشوق لا يدريه إلا الله

وقد ذكر هذا المعنى الحسن، صاحبنا الأديب أبو الحسن، بلغه الله ما أمله، وأسعده
في حجه الذي أمّ له، في قصيد له فريد أوله:

[قصيدة للأديب أبي الحسن الحاج علي مندوصة الأندلسي]

إن الصبا لما سرى سحرا
أذكاه حتى خلت نسمة
لا بل كورد أصبح الطل¹ في
فاستنشقن عرف الرياض التي
نسماته بروضنا الأشجر
سحيق مسك ضاع في المجر
أوراقه كالدر والجوهر
فاستنشقن عرف الرياض التي

1. الطل: المطر الخفيف.

ومنها:

تحكي ضياء الشهب إن طوقت جيد التي تزهو على المشتري
ترى الشقيق شق أجيا به مخافة من ورده الأحمر
والنرجس الغض همى جفنه فوق بساط سندس أخضر
والأرض تمتاز بأنوارها كم أزرق فيها وكم أصفر
والأس يشبه الدلال على حدود ظبي أهيف أحور
سقى الشمال روض كيتاننا بِنافع وعارض ممطر
يا حبذا ريح الشمال التي قد قال فيها صاحب المغفر
صلى عليه الله ما كتبت يد الربيع رائق الأسطر
نصرت بالصبا وأهلك ع عاد بالدبور إن قولي حرى
لولاه ما نلنا الذي نرتجي ولا كرعنا حوض ما الكوثر

[ذكر الأديب أبي الحسن الحاج علي مندوصة الأندلسي]

وهذا الفاضل رعاه الله، وأعانه على ما نواه، ناظم درر تلك المغاني، ومزينها بأنصع الألفاظ وأبداع المعاني، فهو شاعرها المصقع، وبحر أدهبها الذي أربى على كل منقع، لم يزل طائفا بكعبة القريض، وقاطفا ما راق من نور روضه الأريض، حتى جاء منه بما هو أسحر من الطرف الأحور والجفن المريض، له قصائد، آنق من فرائد القلائد، ومقطعات بيواقيت الإبداع مرصّعات، مع رقة، من نسيمات السحر مشتقة، وطلاقة تسلي كل ذي علاقة، فكلما وَرَدَتْ إلى مغانيه، أبهجني برائق معانيه، وطرب إليّ وهش، وقابلني من تأنيسه بِرِذَازٍ وَرَشٍّ، وحملني إلى ضياعه، وشنّف سمعي بأجناس أدبه وأنواعه.

والذي أولاه هذه المنقبة، وأرقاه هذه المرقبة، شيخنا العلامة ذو اليمن والبركة، أبو الحسن سيدي علي بن محمد بركة، لأنه في الحقيقة زين تلك البلاد، الذي أولاه من المحاسن الطارف والتلاد، حتى فاخرت مصانع بغداد، وطاولت زاهر ابن عباد⁽¹⁾، إذ هو الذي أصار تُرْبَهَا تَبْرًا، لما طلع في سماء معارفها بدرًا، وأعاد حصباءها درًا، لما فاض في أرجائها بحرا، ولولا ما أولاه من المحاسن، ما عذب ماؤها الآسن، فبجمالها تذكر، وبروائه محمد وتشكر، أبقاه الله يبيدي جمالها، ويظهر كمالها، ومن مدحي فيه هذا القصيد الذي ألم بفضله، ولم يستوفه وهو:

[مدح المؤلف لأبي الحسن سيدي الحاج علي بن محمد بركة]

إلى ما فؤادي يذوب زفيرا	لقد كدت أقضي معنى حسيرا
عراني من الوجد ما قد نفى	كراي وأذكى حشاي سعيرا
فمن رقة قد حكيت نسما	ومن دنف قد حكيت نقيرا
وشيبني والشباب نضير	صدود الألى أودعوني زفيرا
ومن لسعته أفاعي الصدود	فأجدر به أن يشيب صغيرا
فماذا على ودهم لودنا	وما ضر لو نعشوني يسيرا
وماذا على عاذلي لو غدا	عذير المن كان مثلي أسيرا
فيا عاذلي لا تكن عاذري	ولست أؤمل منك عذيرا
ويا هاجري لا تكن واصلي	إلى أن توازي الحصاة ثيرا
فمذ شمت برق العلى والهدى	لدى بركات العلى مستطيرا

(1) هو محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي، أبو القاسم المعتمد على الله، المشهور بابن عباد، من أشهر ملوك وشعراء الأندلس، توفي منفيًا في أعماق سنة 488 هـ، انظر ابن خاقان، مطمح الأنفس 69 والمقري، نفع الطيب 6 / 22.

سلوتك فانجاب ليل الأسي
فلا مقلتي تستهل دما
ومن شام برق العلى مستظيرا
وهان علي الذي قد لقيت
وأنقذني من ظلام الهوى
إمام تسربل بالمكرمات
وطاول بدر السماء منيرا
و أضحى لكأس المعالي مديرا
تواضع حلما فزاد ارتقاء
ومن رام إخفاء بدر الدياجي
تناهت مذاهبه في العلى
فطورا تراه لقوم بشيرا
وكاين تراه يفك المعمى
إلى رقة لو حواها النسيم
ونظم ينسيك شعر جرير
ووجه جلي البشر عنه الوجوم
تضيئ الدياجير غرته
الأهل أتى معشري أنني
وأويت منها إلى جنة
لدى عالم قد حوى عالما

وأسفر صبح السرور بشيرا
ولا كبدي تتداعى فطورا
فلا يعدمن وداء¹ وحبورا
لماسقاني نداءه نميرا
وكان لقلبي المعنى مجيرا
وأرخصى إزار العفاف كبيرا
وساجل قطر الغمام غزيرا
وأمسى لروض العلوم سميرا
ورام خفاء فزاد ظهورا
بجنح دجى زاد نورا كثيرا
فليس يرى لسواها ظهيرا
وطورا تراه لقوم نذيرا
ويوضح ما كان صعبا عسيرا
لما قصف الدهر غصنا نضيرا
إذا أنت عاينت منه سطورا
فليس يرى أبدا قمطيرا
فتحسبها قبسا مستنيرا
علقت بتطوان علقا خطيرا
فلا شمس فيها ولا زمهريرا
وحبر تضمن خلقا كثيرا

(1) في الأصل: ددا.

وألفها من محاسنه برودا حكت سندسا وحريرا
وأسرجها بسراج الهدى وكم مكثت قبل تحكي قبورا
فلا نجد إلا استطار سنى ولا غور إلا تلالاً نوراً
ولا غصن إلا تثنى ارتياحا ولا طير إلا تغنى سرورا
وضاء سناها وضاع شذاها فثمت سنى وشممت عيرا
إمام الورى بشفيح الورى أصخ لنظامي وكن لي عذيرا
وأسبل عليه برود القبول فلت حبيبا⁽¹⁾ ولست جريرا
وهبني كذاك فمن لي بما أحلي به مجدك المستنيرا
ومن أرهقته خطوب الدنيا فكيف يحوك القريض النضيرا
فعدرا من خانته، دهره وأخنى عليه الزمان مغيرا
ودونك مني سلام كريم يفواح عرفه روضا مطيرا

ومن شعره الذي يحي قتيل الهموم بنشره، ما كتب به إلى صاحبنا الأديب المتقدم
الذكر، وقد كان سأله كتاب «قلائد العقيان»⁽²⁾ فبعث إليه به، وكتب له ما نصه:

أبشر أبا حسن³ بوصول دان واهناً بنقعك غلة الظمآن
وازفف خرائد طالما قد أهملت من فقدتها لقلائد العقيان
فالآن حل نحورها كي تجتلي أقمارها في السر والإعلان
لا تختشي صرما لما قد نلته والشم وعانق دائم السلوان
لا زال مجدك صاعدا في أوجه وتحيتي تترى مدى الأزمان

1. يقصد: أبا تمام حبيب بن أوس.

(2) المسمى قلائد العقيان في محاسن الأعيان تأليف الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان ابن عبد الله القيسي أبو نصر الإشبيلي توفي سنة 528 هـ، انظر الزركلي الأعلام 7 / 134.

(3) أي: أبي الحسن الحاج علي الأندلسي المعروف بمندوصة.

وله - أبقاه الله - قصائد طوال، حلّى بها من خرائد المحاسن كل معطال، لكن الأليق بهذا المقام، أن يذكر من شِعْرِهِ الرائق النظام، ما اشتمل على الفوائد العلمية، والأبحاث الرقيقة السنّية، فمن ذلك هذا الرجز النضير، عدّد فيه المواضع التي يتعين فيها انفصال الضمير، وهو:

[رجز لمحمد بركة عدد فيه المواضع التي يتعين فيها انفصال الضمير]

أحمد ربي وأصلي دون عد	على محمد ومن له استند
قاعدة الضمير أن يتّصلا	في الاختيار والتأتّي أصلا
وإن تعذّر اتصاله انفصل	وذاك في اثنين وعشرة حصل
في حصره بإنما أو إلا	أو سبقه لعامل تجلّى
ومثله الفصل بعائد بدا	وحذف عامل له قد وردا
كذاك حرف النفي إن فيه عمل	أو واو صحبة كذا أيضا جعل
ورفعه بصفة قد أسندت	لغير من في نفس الأمر وجدت
فمطلقا يفصله البصري	ومع لبس يفصل الكوفي
ورفعه بمصدر أضفته	إلى الذي محلّه نصبته
وفصله مستوجب بإما	ولام فرق بعد أن قد أما
كذاك أن ينصب بعامل عمل	في مضمّر من قبل فالنصب وصل
لكن مع اتحاد رتبة يتمّ	به انفصاله وذاك قد حتم
وزاد في التصريح ¹ أعنى الأزهري	عكس الذي قبل مضى في المصدر
وذاك أن يضاف لمرفوع وقد	أكمل بالمنصوب مضمرا فقد

1. المسمى التصريح بمضمون التوضيح وهو حاشية على توضيح ابن هشام تأليف خالد بن عبد الله بن أبي بكر زين الدين الجرجاوي الأزهري توفي سنة 905 هـ، انظر الزركلي الأعلام 2/297.

وزاد أيضا أن يكون في النّدا
لكن يقال هذه مرادة
هذا وأهدي للإله حمده
ثم الصلاة والسلام كل حين
كمثل يا إياك أو أنت اقعدا
في حذف عامل فلا زيادة
على تمام ما أردت عدّه
على الرسول والصحاب أجمعين

وله أطال الله بقاءه، ونضر رواءه، سائلا شيخه، شيخنا الإمام، علم الأعلام غنية
الوارد والصادر، أبا عبد الله سيدي محمد بن المولى سيدي عبد القادر، -أبقاه الله،
ونضر ضريح والده وأرضاه-، عن معنى قول خير من اجتباه الله وفضله، «من باع
جلد أضحيته فلا أضحية له»⁽¹⁾، بما صورته:

[قصيدة لمحمد بركة سائلا بها محمد الفاسي عن معنى حديث]

الحمد لله في الأحيان والمدد
واله وكذا الصحب الكرام ومن
هذا وأهدي إلى الشيخ الذي بهرت
أزكى سلام عميم عرفه عاطر
يا أيها العالم الصدر الذي شرفت
إننا نريد الجواب منكم كرما
عن قول خير الورى المختار سيدنا
في جلد أضحية ما إن لبائعه
هل الثواب نفي أو الكمال فُقد
وإن يكن للثواب النفي مرجعه
بين لنا ولكم أجر يفوق ولا
ثم الصلاة على خير الأنام ومن
ثم الصلاة على المحفوف بالمدد
يقفو سبيلهم في أقوم الجدد
أعلامه وغدت تنبو عن العدد
يهمى عليه بطول الحين والأمد
فاس به وازدهت بالعلم والرشد
يروى ويغني عن ينبوع والتمد
عليه أسنى صلاة الواحد الصمد
أضحية أو كما قد جاء بالسند
أم صحة جملة يا مبتغي خلدي
فهل عن الجلد لا عن سائر الجسد
زلم بنور وعلم دائم الأبد
أضحى بمنهجه الأقوى على سند

(1) انظر المستدرک للحاکم 2 / 422 رقم 3468 وقال فيه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

[جواب أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي بقصيدة]

فأجابه شيخنا المذكور، -أطال الله بقاءه في جذل وحبور- بما نصه:

الحمد لله حمدا جلاّ عن عدد ثم الصلاة مع التسليم للأبد
على النبي وآل والصّحاب معا والتابعين طريق الحق والرشد
وبعد وفقت للخير ونلت هدى وأدركتك عنايات من الصمد
فاعلم بأن الخلاف في نظائر ما ذكرت مشتهر يرويه ذو السند
هل مجمل والأصح لا وقد صرفوا نفيا لصحته فاقصده تقتصد
فالأصل هذا لأن النفي حيث جرى للذات فالأقرب الصحة فيه قد
لكن يخالف هذا الأصل إن ظهرت قرينة كحديث اللغو فاتند
والمناوي¹ على نفي الثواب مضي جزما ولم يبد من ذكر المستند
إن قلت إن حصل الثواب ليس له رفع بما بعد من إثم فلا تحد
أجيب عنه بما أجيب عن صدقات بالأذى بطلت رعيًا لمعتقد

[شرح أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي لقصيدته]

وكتب بعد هذا النظم موضحا لما تضمنه ما نصه: إيضاح وبيان لما أشارت إليه
الآيات:

أما الخلاف المشار إليه في نظائر العبارة المذكورة في الحديث المسؤول عنه، فهو
ما ذكر في كتب الأصول في نحو: «لا صلاة إلا بطهور»⁽²⁾، [و]⁽³⁾ «لا صلاة إلا

1. في الأصل المنوي، وهو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم
المناوي القاهري، زين الدين، توفي سنة 1031 هـ، انظر الزركلي، الأعلام 6 / 204.

(2) رواه مسلم في: الصحيح 1 / 204 رقم 224 بلفظ: «لا تقبل صلاة بغير طهور».

(3) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

بفاتحة الكتاب»⁽¹⁾، و«لا صيام لمن لم يبيت»⁽²⁾، و«لا نكاح إلا بولي»⁽³⁾، فالجمهور: لا إجمال، وقالت المعتزلة: مجمل، لتردده بين نفي الصورة والحكم، وقال القاضي: مجمل، لتردده بين نفي الصحة والكمال، ولا مرجح لواحد من الاحتمالين، وفي شرح «المعالم» للفهري⁽⁴⁾ الجواب من وجهين: الأول: أنه إذا كان للشارع النقل، فلا مانع من إضافة النفي إلى المسمى الشرعي إن أمكن، ثم لو سلم عوده إلى الحكم، فنفي الصحة أظهر لوجهين، أحدهما: أن مثل هذا يستعمل في العرف لنفي الجدوى والفائدة، كما يقال: «لا علم إلا بعمل، ولا بلد إلا بسطان»، ونفي الصحة أظهر في بيان نفي الفائدة.

الثاني: أنه يشعر بالنفي العام، ونفي الصحة أقرب إلى العموم من نفي الكمال، لأن الباطل لا اعتبار له بوجه، فساوى العدم. اهـ

وعلى هذا الوجه الثاني، اقتصر غير واحد كالعضد⁽⁵⁾ والمحلي والغزالي، وبحث فيه بعض شراح «المنهاج»⁽⁶⁾، فقال: «وقد يقال: هذا معارض بأن نفي الكمال يتعين دون نفي الصحة، وبأن فيه تقليلا للإضرار والتجاوز المخالف للأصل. انتهى، ولعل هذا القدر كاف في بيان أصل الخلاف المشار إليه، فلنقتصر عليه.

(1) البخاري، الصحيح 1 / 263 رقم 723 ومسلم الصحيح، 1 / 295 رقم 394.

(2) رواه النسائي في: الصغرى 4 / 196 رقم: 2331 بلفظ: «من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له».

(3) أبو داود، السنن 2 / 229 رقم 2085 والترمذي، 2 / 185 رقم 2183.

(4) شرح المعالم تأليف عبد الله بن محمد بن علي أبو محمد شرف الدين التلمساني الشافعي توفي سنة 644 هـ، انظر الأعلام للزركلي 4 / 125.

(5) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار القاضي عضد الدين الإيجي الشافعي توفي سنة 756 هـ انظر ابن حجر الدرر الكامنة 2 / 322.

(6) المسمى المنهاج في الأصول تأليف عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي اختلف في سنة وفاته، قال الصفدي سنة 685 هـ، وقال السبكي سنة 691 هـ، انظر الداودي طبقات المفسرين 174.

وأما قولنا: «لكن يخالف هذا الأصل...» البيت، فالمراد: أنه قد يقوم دليل وقرينة تعين نفي الكمال دون الصحة، كما في حديث: «من لغا فلجمعة له»، وانظر الحديث المسؤول عنه، هل هو مثله؟، فإنني لم أقف على من قاله، ولا على ترجيح في الاحتمالين فيه، سوى ما يفهم من كلام المناوي⁽¹⁾، وإليه الإشارة بقولنا: «والمناوي على نفي الثواب مضى»، والمراد أن المناوي شارح «الجامع الصغير» اقتصر في «شرحه الكبير»: على نفي الثواب، من غير ذكر مستند، ونص الحديث: «من باع جلد أضحيته فلا أضحية له»، ونصه في شرحه: أي لا يحصل له الثواب الموعود للمضحى على أضحيته. اهـ

وعلى هذا المعنى حمل نفي القبول في حديث: «من أتى عرّافا فسأله عن شيء فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين صباحا»⁽²⁾، وفي حديث: «إذا أبق العبد من مواليه، لم تقبل له صلاة حتى يرجع إليهم»⁽³⁾، رواهما مسلم، وكذا حديث: «من شرب الخمر فسكر، لم تقبل له صلاة أربعين صباحا»، رواه ابن حبان⁽⁴⁾ والحاكم⁽⁵⁾، وكذا في الموطأ⁽⁶⁾، من قول عائشة لزيد بن أرقم، في مسألة: الربا أبطل جهاده، ونحو ذلك.

وقولنا: «إن قلت إن حصل الثواب إلخ...»، إشارة إلى سؤال يرد على نفي الثواب، وهو أن يقال: إن حصل الثواب بالذبح فلا إحباط له بعد ذلك؟، وجوابه: أن الإحباط غير لازم، كما في قوله تعالى: ﴿لَا تُبْطَلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (البقرة: من الآية 264)، فقد قيل ربما وازى عقاب المنّ والأذى، ثواب الصدقة أو زاد، فكان

(1) في الأصل المنوي.

(2) انظر صحيح مسلم بشرح النووي 7 / 394 رقم 2230.

(3) انظر صحيح مسلم بشرح النووي 1 / 265.

(4) انظر صحيح ابن حبان 12 / 179 رقم 5357.

(5) انظر المستدرک للحاكم 1 / 388 رقم 945 وقال فيه حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(6) لم أقف عليه الموطأ، وقد ذكره الباجي، المنتقى شرح الموطأ 6 / 36.

كالإبطال، لمآله إلى أن لا ثواب، فقد يقال مثل ذلك هنا، وقال ابن عطية في الآية: «العقيدة أن السيئات لا تبطل الحسنات، فقال جمهور العلماء: إن الصدقة التي يعلم الله من صاحبها أنه يمنّ أو يؤذي فإنها لا تتقبل صدقة، وقيل: بل قد جعل الله للملك عليها أمانة، فهو لا يكتبها، وهو أحسن، لأن ما نتلقى نحن عن المعقول من بني آدم، فهو أن المانّ المؤذي ينص على نفسه أنها لم تكن لله، على ما ذكرنا قبل، فلم تترتب له صدقة، فهذا هو بطلان الصدقة بالمنّ والأذى». اهـ

وقولنا: «ومع نفي الثواب إلخ...»، إشارة إلى أن نفي الثواب أعمّ من نفي الصحة، وقد قيل ذلك في أحاديث نفي القبول المتقدمة، وكذلك في مسألة الواحد بالشخص له جهتان، كالصلاة في المغصوب، وإن كان التحقيق خلافه، وقد قرّر القرافي⁽¹⁾ في «فروقه»: «أن سقوط الخطاب لا يستلزم الثواب»، ونازعه ابن الشاط⁽²⁾ في ذلك، وفي «الإحياء» للغزالي ما هو صريح في مخالفة القرافي، وإن الفعل المستجمع للشرائط لا يطلق عليه أنه غير مقبول، ويثاب عليه، وهذا المقدار كاف فيما ينبني عليه النظر في المسألة، ويتفرّع عن ذلك أنظار ومباحث يطول تتبعها، والله سبحانه أعلم بالصواب. والسلام الأكمل الأتم عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب العبد الفقير إلى رحمة ربه محمد بن عبد القادر الفاسي غفر الله له ولمن دعا له ولو لديهما. اهـ الجواب المبارك.

[تعليق أبي الحسن الحاج علي بن محمد بركة علي جواب محمد الفاسي]

فأورد عليه شيخنا السائل، ما لم أطلع عليه الآن من المسائل، وحاصله حسبما أنهاه إليّ بعد كتبي هذا ما أنا ناقله وهو: أن ما أجيب به عن الآية في إبطال الصدقات بالمنّ

(1) هو أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يلين الصنهاجي شهاب الدين أبو العباس القرافي المصري المالكي توفي سنة 684 هـ، انظر ابن فرحون الديباج 128 وابن مخلوف شجرة النور 188.

(2) هو قاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاط أبو القاسم الأنصاري السبتي المالكي توفي سنة 723 هـ، انظر ابن مخلوف شجرة النور 217.

والأذى، من كون عقابها ربما وازى ثواب الصدقة أو زاد، فيؤول إلى أن لا ثواب، قد يلوح منه القول بالموازنة بين العقاب والثواب، الذي هو عند أهل السنة خلاف الحق والصواب، والذي كنا نعتقده في ذلك: أنه لما كان يعاقب، صار كأنه لا ثواب له، وكلام ابن عطية⁽¹⁾ المنقول بعد ذلك، حسن شديد، ثم إننا لم نفهم وجه التردد في حمل الحديث المذكور على نفي الكمال، مع الجزم بحمل غيره على ذلك، والقرينة في الكلّ خارجية. اهـ

من خط صاحبه، الذي ملئت أنجاد تطوان وأغوارها بمناقبه.
فأجابه شيخنا المذكور، لا زال مشتملا بالبهاء والنور، عن هذه المراجعة بما نصّه،
ومن خطه نقلته، بعد أن قرأته عليه وتأملته:

[ردّ محمد الفاسي على تعليق أبي الحسن علي بن محمد بركة]

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم، المحبّ الأصفى الفاضل
العلامة سيدي علي بن محمد بركة، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فالذي
عندنا في إبطال الصدقة بالمنّ والأذى على مقتضى الجواب الأول: هو ما أشرت إليه
آخرا، من أنه لما كان يعاقب صار كأنه لا ثواب له، وفهّم كلام أئمتنا على هذا الوجه
متعّين، إذ مرادهم التخلص من القول بالإحباط، فكيف يقصدونه؟، ويتضح المراد
بأن يقال: من لم يتصدق، ولم يؤذ، ولم يمنّ، أحسن حالا ممن جمع بين الصدقة والمنّ
والأذى، إذ لا يعدل بالسلامة شيء، وفي «العتبية»⁽²⁾: قال مالك -رضي الله عنه-:
بلغني أن ابن عباس -رضي الله عنهما- سئل عن رجل كثير الصلاة كثير الصوم وهو

(1) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي المالكي توفي سن 541 هـ، انظر
النباهي المرقبة العليا 122 وابن فرحون الديباج 275.

(2) هي ثاني دواوين المالكية المعتمدة تأليف محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة أبو عبد الله القرطبي
المالكي توفي سنة 254 هـ، انظر عياض ترتيب المدارك 2 / 144 وابن مخلوف شجرة النور 75.

يقارَف الذنوب، ورجل قليل ذلك منه، وهو سالم فقال: لا أعدل بالسلامة شيئاً، قال القاضي ابن رشد⁽¹⁾: هذا بين على ما قاله، لأن ما عُصي الله به - عز وجل - وإن صغر فهو عظيم، فمن قلت حسناته وسيئاته، أقرب إلى السلامة ممن كثرت حسناته وسيئاته، إذ لا يدري قدر الثواب في حسناته، ولا تقبلت منه أم لا؟، ولا قدر الإثم في سيئاته، لا سيما إن تعلق في ذلك حق لمخلوق. انتهى

ولعل اختيار غير واحد لهذا الجواب، لأن فيه إزالة الإشكال، على فرض وقوع الصدقة حين وقوعها مصحوبة بالإخلاص، مستوفية للشروط، ثم يعرض بعد ذلك ولو بمدة طويلة من أذى، فإنه قد يتصور وجود ذلك مع رجاء صحة العمل وحصول ثوابه، وأما كلام ابن عطية، فمداره فيما يظهر على أن الصدقة التي يعقبها من أذى لا قبول لها، ولا تكتب في الحسنات رأساً، وكأنه استشعر نظراً في ذلك، فدعمه بما ذكر في آخر كلامه من دلالة المن والأذى، على أنها لم تكن لله، وكأنه أراد أن النهي عن المن والأذى نهي عن ترك الإخلاص من باب الكناية، وإرادة الملزوم من اللازم، ويرد أنه أغلبي وليس بلازم، اعتباراً بالصورة التي فرضنا وقوعها أولاً، وقد يجاب بأن سياق الخطاب مع أهل المقامات العلية، المتحلين بكمال الإخلاص والصدق، وكل انحطاط في مثل هذا المقام نقص، من باب: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»، بل صدوره منهم في غاية البعد، إلا أن وقوعه غير محال كما علم، أو يقال: شأن آيات الكتاب العزيز استنهاض النفوس لمراقبي الكمال تصريحاً، وإفهام العتاب والمؤاخذة بالسكوت عن مرتبة النقص تلويحاً، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأما التردد في حمل الحديث المسؤول عنه على نفي الكمال، فموجبه عدم النص لمن تقدم، وعدم العلم بالقرينة الخارجية، فبقي مجال للاحتمال في الجملة، بخلاف مسألة

(1) محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد، أبو الوليد القرطبي المالكي، شيخ المالكية، الامام العلامة قاضي الجماعة بقرطبة توفي سنة 520 هـ انظر ابن مخلوف، شجرة النور 129 والذهبي سير أعلام النبلاء 19 / 501.

إنصات الجمعة، فهي منصوصة مشتهرة، قال ابن عبد البر⁽¹⁾: الذي عليه أصحابنا أن الصمت واجب، لسنة رسول الله ﷺ، وهي سنة مجتمع عليها معمول بها، وقد أجمعوا على أن من تكلم ولغا لا إعادة عليه للجمعة، ولا يقال له صلّها ظهرا، فلما أجمعوا على ما وصفنا، دلّ على أن الإنصات ليس من فرائضها، لأن الشأن في فرائض الصلاة أن يفسد العمل بتركها. انتهى

ولا يبعد أن يقال - على قياسه في مسألة الأضحية -، لو كان النفي للصحة لا للكمال، لقالوا: إذا باع شيئا من لحمها أو جلدها مثلا ووقتها باق يؤمر بإعادة الأضحية، ولم يقوله، وإنما قالوا يفسخ البيع إن عثر عليه، وإلا تصدق بالعوض في الفوت، ولم نقف على تقييد بغير زمنها، ولا على قول بالإعادة فيها، والله أعلم. ومما أذكره لكم مما يتعلق بالمسألة في الجملة، أن هذا اللفظ وهو: «من لغا فلا جمعة له» لم أجد من ذكره على أنه حديث، ولفظ الحديث: «إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب فقد لغوت» كذا في «الموطأ»⁽²⁾ وغيره، وفي بعض رواياتها: «والإمام يخطب يوم الجمعة»، وهكذا أورده السيوطي في «جامعه الصغير»⁽³⁾، وعزاه لأحمد⁽⁴⁾ والشيخين⁽⁵⁾ وأبي داود⁽⁶⁾ والنسائي⁽⁷⁾ وابن ماجه⁽⁸⁾، ونقل ابن عبد البر عن عكرمة وعطاء أنها

(1) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم أبو عمر النميري القرطبي المالكي توفي سنة 463هـ، انظر عياض ترتيب المدارك / 2 / 808 وابن مخلوف شجرة النور 119.

(2) انظر الموطأ / 1 / 103 رقم 232.

(3) انظر التيسير بشرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي / 1 / 122.

(4) انظر المسند / 2 / 532 رقم 10901.

(5) انظر صحيح البخاري / 2 / 14 رقم 934 وصحيح مسلم بشرح النووي / 1 / 330 رقم 851.

(6) انظر السنن / 1 / 290 رقم 1112.

(7) انظر المجتبى / 3 / 104 رقم 1402.

(8) انظر السنن / 1 / 352 رقم 1110.

قالا: «من قال صه والإمام يخطب فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له»⁽¹⁾، قال أبو عمر: يريد في تمام الأجر، لأن الفقهاء في جميع الأمصار يقولون: إن جمعته مجزية عنه، ولا يصليها أربعاً. انتهى، والله سبحانه الموفق.

وكتب عبيد الله سبحانه محمد بن عبد القادر كان الله له. انتهى

[قصيدة الشيخ علي بركة في مدح أبي عبد الله الفاسي]

وقد نظم المولى الشيخ علي المذكور قصيدة في مدح شيخنا المجيب أبي عبد الله -أبقاه الله- ضمّن فيها ذكر ما تقدم من سؤال وجواب، أنهاها إلي بعد كتبي ما تقدم في هذا الباب، وهذا نصها:

حمد الإله ابتدا من أوثق العدد	وصلوات وتسليم بلا عدد
على الرسول وآلٍ والصحاب ومن	يقفو سبيلهم بأحسن العدد
هذا ونور الإله لم يزل بهجا	ومستنيرا مدى الأناء والمدد
ما زال يودعه في كل ما خلف	عن كل ما سلف في سالف الأمد
مصدق قول الرسول أن طائفة	ليست تزال بأمر الله في سعد
فإن أردت العيان فات فاس تجد	بها معاقلهم حقا بلا فند
تلقى بها السيد الفاسي الذي ظهرت	أنواره كظهور النار في سند
وهو ابن شيخ المشائخ الذي اجتمعت	له مكارم مجد دون ما كبد
من انزوى وانضوى قصدا لزاوية	له بفاس حظي بالفوز للأبد
أهمى الإله عليه سحب رحمته	وخصه بمقام ليس ذا كمد
وقد أقام الإله نجله خلفا	محمدنا شيخنا ذا العلم والرشد
ومن بحور له في العلم مدّ لنا	بحرا ولكنه عذب لكل صدي

(1) انظر فتح المالك بتبويب التمهيد على موطأ الإمام مالك 2 / 254.

لما طلبنا لديه علم ما قد أتى
من باع جلد الذي ضحى به سفها
فكان منه جواب ناصع نضر
وساقه بمساق لا نظير له
وكونه من نظائر لها نمط
فمجمل قال قوم ذاك حيث جرى
كذاك إجماله للقاضي فيه عزي
هل نفيه للكمال أم لصحته
إلا إذا عينت نفي الكمال به
وبعضهم خص بالنفي الثواب بلا
عليه إن قيل ما بال الثواب نفي
فذا جوابه ما بصدقات أتى
وليس مستلزم نفي الثواب بذا
هذا مضمن ما في النظم فاقتنه
فقد أجاد وأبدى من نفائسه
فنسأل الله أبقاه لرتبته
هذا وأهدي له أذكى¹ تحيتنا
والحمد والشكر للمولى على نعم
محمد وصحابة والآل ومن

من الحديث الأصيل المتن والسند
فلا ضحية إذ ما قد أتاه ردي
بالنظم والنثر مبني على عمد
مبينا أصله رعيًا لمستند
كلاً صلاة ونحو ذاك فاعتمد
وعكسه تحتذيه خير معتقد
مع بيان له فاسمعه تعترض
وعضدوا آخرًا فصار ذا عضد
قرائن كحديث اللغو فاستند
تردد وبلا ذكر لمعتمد
وقد غدا ثابتا بإثم معتمد
إبطالها بالأذى والمنّ فاعتقد
نفيًا لصحته فاعلمه واجتهد
وإن ترد بسطه من نشره فرد
ما ليس يبلغ شأوا فيه من أحد
قريب عين سليم الأهل والولد
تشدو بمعهده بأطيب الفرد
وصلوات وتسليم على سند
قفاهم ما همى القطر مع البرد

[استفتاء المؤلف لعلي بن محمد بركة حول القصر والإتمام]

قال كاتبه، - حمدت عواقبه - ولما خرجنا من البحر، وخلصنا من تلك المهالك
التي كنا منها بين السحر والنحر، وكنا من البلد، على نحو ميلين أو أشد، حال بيننا

1. هكذا بالأصل ولعلها أذكى.

وبينها من الموانع برزخ، أضرم في جوانحنا نار أسى جمرها لا يتبوخ⁽¹⁾، فأشبهه عليّ
الأمر، أحكمتنا الإتمام أم القصر؟، فكتبت له من هنالك، مستفتيا عن ذلك،

[جواب علي بن محمد بركة للمؤلف]

فأجابني -رضي الله عنه- بعد كلام باهر النظام، بما نصه: هذا وما ذكرتموه من
القصر عند المخلص من لجج البحر، فاعلموا -أكرمكم الله- أن التقصير ينتهي
حسبما في علمكم إلى مبدأ القصر، إلا أن الحكم في ابتداء القصر في مثل هذه المسافة
الجامعة بين البر والبحر، إذ لا يوصل إلى هنالك إلا بعد مجاوزة بيوت مصر، قد
اختلف المذهب فيها على قولين:

الأول لابن المواز⁽²⁾ أنه: لا يقصر في ذلك إلا بعد البروز من المرسى إن كان يسافر
بالريح، وإن كان يسافر بغيرها فإنه يقصر قبل ذلك، وعن عبد الملك بن الماجشون⁽³⁾
أنه: يقصر حين خروجه من البلد، -أي فهو كغيره-، ولكن الراجح قول ابن المواز،
فعلى هذا تجري نازلتكم على هذين القولين والذي يتحصل عندنا في ذلك الآن، أنكم
إن نزلتم إلى البر ونويتم الإقامة هنا، -أعني في بلدنا القاطعة لحكم السفر-، أنكم تتمون
الصلاة، وهذا أحوط في الخروج من الخلاف، -والله سبحانه أعلم-. وكتب محبكم علي
بركة انتهى.

ولما انجابت سحائب تلك الموانع، ولمعت بوارق تلك المصانع، ودخلنا قصور
تلك البنية، وصافحنا بدور الأمنية، أنست لمعان غرره السنية وجالست منه أيوب بن

(1) باخت النار: سكنت وفترت.

(2) هو محمد بن إبراهيم بن زياد المواز أبو عبد الله المالكي توفي سنة 269هـ -وقيل 281هـ، انظر عياض
ترتيب المدارك / 2 / 72.

(3) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون القرشي أبو مروان المالكي توفي سنة 212هـ، انظر عياض
ترتيب المدارك / 1 / 360 وابن مخلوف شجرة النور / 1 / 56.

الغرية، وأبا بكر بن عطية، ولم أزل له مرافقا، ولأريج شمائله ناشقا، وبكعبة محاسنة
طائفا، ولأنوار بدائع قاطفا، حتى قلت من حرارة الوداع تمنيا، ياليتني مت قبل هذا،
وكنت نسيا منسيا.

السّم من ألسن الأفاعي أعذب من قبلة الوداع
ودعتهم ودموعي تجري لما دعا للوداع داع
غيره:

فأول صبري كان آخر سلوتي وآخر صبري كان أول أدمعي
وأنشدت عندما خامر الفراق بكؤوس صابه لبي:

إن يوم الفراق أحرق قلبي وكواني الفراق بالنار كيا
إن قضى الله بيننا باجتماع لا ذكرت الفراق ما دمت حيا
ويعجبني تخميسي لهذين البيتين وهو:

جمرات الوداع والله حسبي زلعت¹ كبدي وأودت بليبي
قلت مشتكيا إلهي وربّي إن يوم الفراق أحرق قلبي

وكواني الفراق بالنار كيا

أهل حبي لم تزل في ارتفاع زفراي من غداة الوداع
فوحق الوصال بعد انصداع إن قضى الله بيننا باجتماع

لا ذكرت الفراق ما دمت حيا

[إجازة علي بن محمد بركة الأندلسي للمؤلف]

وقد أجازني - رضي الله عنه - عندما نشقت أنفاس فاس، وعزمت على الرحيل
من ذلك الكناس، بما لا يذكر معه الطباقي ولا الجناس، وهذا نصه:

(1) زلع الشيء: استلبه في ختل.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.
أحمد الله الذي من أسند إليه أمره أعانه وأجازه، ومن صمد إليه دهره نال منه مرامه
وحازه، ومن استمسك بعروته الوثقى، سُمك رباع مجده ورقى، ومن انتسب إلى علي
جنابه، اكتسب شرفاً وحظي بكريم مآبه، ومن اتخذ في المهمات سنداً، وجدته في جميع
الملامات كافياً أبداً، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد عبده ورسوله، ونيبه وخليله، المنزل
عليه أحسن الحديث، والمبجل بين الورى في القديم والحديث، الموصول بصلات
موصولة، والمعلول بهبات لا مقطوعة ولا مفصولة، المرفوع قدره ونصابه، والمشروع
شرعه الفائض عبابه، ثم على آله وأصحابه الذين أنسوا أحواله وآثاره، واقتبسوا أضواءه
وأنواره، واقتفوا سننّه، وأنهوا إلى من بعدهم سننّه، وورثوا من تراث علومه بالفرض
والتعصيب، وحدثوا بمشاهدتهم معه من لم يظفر بحظ منها ولا نصيب، ثم على
التابعين لهم المهتدين، الذين أصلوا لنا أصول الدين، ووصلوا إلينا ما وضحت به المعالم
للمسترشدين، صلاة وسلاماً مترادفين إلى يوم الدين، وبعد: فإنه مذمّن الله سبحانه
علي بالانخراط في سلك طلاب العلم، والارتباط بأسباب أرباب الإدراك والفهم، لم
نزل نتطفل على المولم منهم والآدب، وندخل عليهم في محافل الموائد والمآدب، ونستبق
إلى التشبث بأذيال من حاز منهم قصب السبق في الفنون أصنافاً وجملاً، ونرافق رفاق
المجيبين إلى دعوتهم غير مفرقين في ذلك بين النقرى والجفلى⁽¹⁾، ونتشبه بهم معتقدين
أن ليس في ذلك جناح، ومستندين إلى قول من قال: التشبه بالكرام فلاح، حتى اتسمننا
من سماتهم الرائقة بسمة، وتوسم فينا أنا منهم، وإن لم نحصل مما عندهم عند التأمل
الصادق إلا على مثل سمسة، فصار من أظهر الله له سبحانه منا الجميل، وستر عنه ما
وراء ذلك مما هو أخصّ أوصاف هذا العبد الحقير الذليل، يأنس منا باللقاء والاجتماع،

(1) الجفلى: هي أن تدعو الناس إلى طعامك دعوة عامّة من غير اختصاص يقال: دعني فلان في النقرى لا في الجفلى.

ويلتمس المقام معنا برسم الانتفاع والاستماع، فكان ممن جمع الله بيننا وبينه شمل الوصال، ونفع لنا به الأوامر الحاصل بالفطام والفصال، من شبَّ به زمان الأدب بعد الهرم، وهبَّ به أوان المجد والحسب، وقد أشفى على العدم، الذي ركض في مضامير البلاغة صافنات جياده، وَعَقَدَ شُدُورَ الْبَرَاةِ عَلَى لَبَّاتِ هَذَا الْعَصْرِ وَأَجْيَادِهِ، الجهد الأريب، المصقع الأديب، الثقف اللقن، المتفنن المشارك المتقن، الفقيه النبيه، الزكي الوجيه، ذو الفضل المعروف غير المنكور، أبو عبد الله سيدي محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن زاكور، الفاسي منشأ ودارا، الإدريسي محلة وجوارا، أصلح الله مقاصده، وأنجح مساعيه ومراشده، فتذاكرنا معه بعض الفنون العبيقة النسيم، وأدرنا صحبته كؤوس شرابها الممزوج بالرحيق والتسنيم، وتجارينا في ميادين من العلوم، وتبارينا في قراءة دواوين أرباب الفهوم، فمن أجلها -الذي من أحرزه كان في حلبات الفنون هو المجلي⁽¹⁾-، «شرح جمع الجوامع» للإمام جلال الدين المحلي، فأتينا على جملة من أوائله، يقتنع بها ذو الجيد المعطال، بما يحصل له بها من التحلي، وحضر معنا جملة جميلة المسالك، من «ألفية الإمام أبي عبد الله جمال الدين بن مالك»، وورد لدينا موارد ينتفع بها ذو الغلّة والغليل، من «مختصر الإمام أبي المودّة الشيخ خليل»⁽²⁾، وشهد عندنا أماكن سنية سمية، من «التحفة العاصمية»⁽³⁾، وجلس بحضرتنا مجالس يرتاح لها المستمع والقاري، لما تضمنته من قراءة «الجامع الصحيح» للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، إلى غير ذلك مما اصطبحة معنا واغتبق، واغتنمه من حرائرنا واعتنق، مما نسأل الله سبحانه أن ينفعنا به جميعا نفعا يفضي بنا إلى السعادة، ويودينا إلى الفوز بالحسنى

(1) المجلي: هو السابق في الحلقة.

(2) هو خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المعروف بالجندي ضياء الدين أبو المودّة المالكي توفي سنة 776 هـ انظر ابن حجر الدرر 2 / 86 والتنبكتي نيل الابتهاج 168 وابن مخلوف شجرة النور 1 / 223.

(3) وهو المسمى تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام تأليف محمد بن محمد بن محمد بن عاصم أبو بكر الأندلسي المالكي توفي سنة 829 هـ انظر التنبكتي نيل الابتهاج 491.

وزيادة، ثم إنه لما شام على معاطفنا بريقا، وشم من مطارفنا عيقا، حجا⁽¹⁾ أن ذلك مطلع، وجعل أن ما بدا منه هو منبغه ومنبعه، فلما لوحنا له أن ذلك مقتبس من مطالعه الأصلية، وملتمس من مبالغه السننية العلية، مطالع شيوخنا منائر الأعصار، ومبازغ أعلامنا معاصر الأمصار، وأشرنا له إلى أنهم وشَّحوا جيدنا المعطل بحليّ إجازاتهم، وأباحوا لنا الرواية بما أخذنا عنهم، وبغيره مما ينسب إليهم من حقائقهم ومجازاتهم، اشرأب حينئذ إلى أن نوشحه بمثل ما وشَّحونا به من الإجازة، واستحب أن نبيح له ما أباحوا لنا من أن نروي عن كل واحد منهم حقيقته ومجازه، فأكبرت أنا هذا الأمر الذي اقترحه مني غاية، وعددت أشد استحالة، من الجمع بين الفراغ وعدم النهاية، علما مني بأني عن ذلك المرام بمعزل، وكوني في الحضيض السافل ذا منزل، وجزما عندي بأني والله لم أصل إلى أن أكون المجاز، فكيف بأن أكون مجيزا الغيري، ولو على سبيل المجاز، وإنما المناسب لحالي أن أكون ممن يعمر عَجَزَ مجلس طلبة العلم لا صدره، وأن لا أزال مستحضرا قول القائل: عاش من عرف قدره، وهو مع هذا كله، لم ينثن عن وجهة الاقتراح، ولم يستبن مني وجه الإبانة عن ذلك المطلب والانتزاح، بل أخفى على كل ذلك مرط رغبته المنسوج على منوال التأميل، وأوفى لأجل تحصيل طلبته على شرف حسن الاعتقاد والظن الجميل، فلما صححص أن ليس لي عن تلبيته مندوحة، زورت في نفسي أن آتي بالمعارض حسبما هي في ذلك طريقة غير مرجوحة، ثم خشيت أن يكون ذلك غير مقنع لمن رامه، ولا منتفع به من طلبه وسامه، فأزمت أن أسلك في ذلك -بحول الله تعالى- طريقة مثلي، وأمسك في الإباية عما هنالك بعروة لا تنفصم ولا تبلى، وذلك بأن أذكر من قرأت عليه من أجلاء جلة الشيوخ، مع ما أخذت عنهم أو سمعت عليهم على سبيل الثبوت والرسوخ، ثم أنتقي ذكر لفظ بعضهم في إجازته، ثم أطبق ذلك على مفصل ذي الطلب مني على وجه يحصل منه -إن شاء الله- على بغيته وإرادته،

(1) حجا: أي ظنّ.

وعسى أن يكون هذا الوجه لا يرهقني من أمري عسرا، ولا يلحقني في الدين والدنيا
مساءة ولا ضيرا، فأقول والله سبحانه المستعان، وعليه التكلان:

[ذكر الشيخ عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي]⁽¹⁾

إن أجمل من امتلأت لنا منه العينان، وأخذت بحجزته منا اليدان، من الإفصاح
بترجمته، مغن عن الإطناب في تحليته، إذ كان شمس ضحى هذه الأعصار، وقطب
رحى المكارم بالمدائن والأمصار، الشيخ الإمام، علم الأعلام، المحي من أمر دين الله
ما كان في حيز الإهمال والشاسي: شيخنا وسيدنا وسندنا عبد القادر بن علي بن يوسف
الفاسي⁽²⁾، قدس الله روحه، وأنس مهجعه وضرجه، فأخذنا عليه في علم الكلام،
«المقدمات»⁽³⁾ للشيخ السنوسي، و«صغراه»⁽⁴⁾ وشرحها له، كل ذلك على التمام، وفي
الفقه جملة يشفى بها الغليل، من «مختصر» الشيخ خليل، وفي الحديث المضاف إلى
من فضله الباري، «شمائل» الترمذي كلها، وأماكن من «صحيح البخاري»، وسمعنا
عليه مواضع من تفسير الكتاب المبين، ومحال من كتاب حجة الإسلام «إحياء علوم
الدين»، وقرأت عليه بنفسه، مع من حضر من أبناء جنسي، «الأربعين» حديثا للإمام
محي الدين النووي⁽⁵⁾، إلى غير ذلك مما كنت آرز⁽⁶⁾ لأجله إلى حضرته العلية وآوي،

(1) هو أحد شيوخ علي بن محمد بركة الأندلسي.

(2) هو عبد القادر بن علي بن يوسف بن أبي المحاسن أبو محمد الفاسي المالكي توفي سنة 1091 هـ، انظر
القادري التقاط الدرر 217 وابن مخلوف شجرة النور 1 / 315.

(3) أحد مؤلفات السنوسي العقائدية وقد شرحها السنوسي وغيره، أهمها شرح إبراهيم البناني المسمى
المواهب الربانية في المقدمات السنوسية وهو مطبوع.

(4) صغرى الشيخ السنوسي المسماة أم البراهين.

(5) هكذا مثبت في النسخة على غير المشهور، وهو صحيح كذلك. قال السخاوي: النووي: نسبة لنوي،
والنسبة إليها بحذف الألف على الأصل، ويجوز كتبها بالألف على العادة، انظر السخاوي، المنهل
العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي 21.

(6) آرز: أفر وألجأ.

ثم أجاز لي بعد ذلك في كل مقروء له ومسموع، ومنسوب إليه ومجموع، وهو - رضي الله عنه ورحمه - يروي كل ذلك بأسانيده المتصلة إلى أرباب تلك المؤلفات، ورواياته الموصولة بأصحاب تلك المصنفات، عمن لا يحصى من مشائخ الإسلام، ومصايح الأنام، حسبما رسم ذلك في إجابة الاستدعاء الذي ورد عليه من علماء المشرق، ووسم كلا منهم بما يبهز العقول من وصفهم المستنير المشرق، جعلنا الله سبحانه من المعقودين في سباطهم، غير المفقودين من محلهم وبساطهم.

[ذكر الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي] (1)

ثم إن ممن أكمل الله سبحانه به علينا المرام، وأجمل لنا به بمحضته المقام، نبراس الإيناس، ومنار أهل المغرب خصوصا أهل فاس، المتبحر في حقائق العلوم، والمستأثر بدقائق الفهوم، العالم المحقق النحرير، الماهر المدقق ذو البحث والتحليل، نجل الشيخ المذكور أولا، ملاذ الوارد والصادر، شيخنا ومفيدنا أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد القادر (2)، - أبقاه الله سبحانه للإفادة، ورقاه في أوج الكرامة والمجادة، فلقد لازمته جملة صالحة من السنين، وشدت على الاجتماع به يد الضنين، وجمعت من مجامع جوامع العلوم، واستطلعت من قواميس بحوره نفائس الفهوم، فأخذت عنه في علوم العربية السامية السنام، «ألفية ابن مالك» (3) مرارا، و«لاميته» مرتين، و«توضيح» العلامة ابن هشام، وفي المنطق «السلم» وشرحه لمؤلفه مع البيان والإيضاح، وفي علم البيان جملة من «تلخيص المفتاح»، وفي فن الأصول ذي القواعد القواطع، طرفا من

(1) هو أحد شيوخ علي بن محمد بركة الأندلسي.

(2) هو محمد بن عبد القادر بن علي بن يوسف أبو عبد الله الفاسي توفي سنة 1116 هـ، انظر القادري التقاط الدرر 292.

(3) هو جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك أبو عبد الله توفي سنة 672 هـ، انظر السبكي طبقات الشافعية 5 / 28 والمقري نفع الطيب 2 / 432.

متن «جمع الجوامع»، وشرحه للجلال المحلي مع الإبانة عما فيه من الموارد والمنازع، وفي التوحيد «صغرى» الشيخ أبي عبد الله السنوسي، وفي الفقه قطعة من «رسالة» ابن أبي زيد القيرواني⁽¹⁾، وسمعت عليه «صحيح البخاري» مرتين، وكتاب «الشفاء» للقاضي عياض بلا ريب ولا مين، إلى غير ذلك مما كنت أختلف إليه فيه من المسائل، وأفادني مكاتبة ومشافهة مما يتعلق بالمقاصد والوسائل، مما لست الآن بمحصيه، ولا مستحضره فأستقصيه، -نفعني الله وإياه بجميع ذلك، ونهج بنا جميعاً أقوم المسالك-، ثم منحني بعد ذلك إجازته العامة المطلقة، وأباح لي الرواية عنه بالأمر البينة المحققة، -جازاه الله سبحانه على ذلك أحسن الجزاء-، وكان له في الدارين وحقق له البغية والرجاء.

[ذكر الشيخ أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي]⁽²⁾

ثم إنه لما أراد سبحانه أن يتوّجنا بتاج المعالم العلمية، ويروجنا برواج المكارم، البهية السنية، ألقينا إلى من ألقته إليه العلوم القياد، وانجابت عنه سحب شمسها بما خرج عن محل الاعتقاد، البحر الزاخر، والخبر الذي يفخر به هذا العصر الآخر، مالك ملاك العلوم، وسامك سماه ذي المنثور والمنظوم، محط رحال أرباب المنقول والمعقول، ومناطق همم أصحاب الإدراكات والعقول، الذي إذا قال فيه القائل:

إن الزمان بمثله لبخيل

يحق أن يقال له ما أصدقه من قيل، الهمام الذي لا يدع من جمعه الله به أن يقول: الحمد لله الذي أذهب عني بهذا السيد عنائي وبوسي، الشيخ الإمام أبو علي سيدنا الحسن

(1) هو عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني المالكي توفي سنة 386 هـ انظر عياض ترتيب المدارك 2 / 492 وابن مخلوف شجرة النور 1 / 96.

(2) هو أحد شيوخ علي بن محمد بركة الأندلسي.

بن مسعود اليوسى⁽¹⁾، أسمى الله سبحانه مكانته، وأدام كرامته، فإني قد استمسكت بغيره مدة مديدة، وأنبتت من ينابيع علومه عيوننا سائلة الجرية حديدة، وتمتعت به في الحضرة والسفر، ورجعت من عنده بفضل الله تعالى بتمام الفلح والظفر، فأخذت عنه -رضي الله عنه وكان له وبلغه من خير الدارين أمله-، في الفقه «مختصر» الشيخ خليل، مرتين بقراءة متوسطة بين التقصير والتطويل، وفي الأصول، «جمع الجوامع» مرتين على وجه محرر الفصول، وفي علم المنطق والميزان «مختصر» الشيخ السنوسي، و«الجمال»⁽²⁾ للخونجي بتحرير وتبيان، وفي علم الكلام والتوحيد، «صغرى» الشيخ السنوسي وكبراه: «عمدة أهل التوفيق والتسديد»⁽³⁾، وفي علم العربية جملة صالحة من «التسهيل»⁽⁴⁾، وشيئا من «ألفية» ابن مالك ولكنه قليل، وفي علم البيان والمعاني «الشرح المختصر على التلخيص» لسعد الدين التفتزاني، وقرأت عليه بنفسه قراءة إتقان وإيضاح، متن «تلخيص المفتاح»، وسمعت عليه أيضا في فنّ الأصول المهذب المذاهب، نحو النصف من «مختصر» ابن الحاجب، وسمعت عليه في الحديث النبويّ، أماكن من «صحيح البخاريّ»، وجميع «شمائل» الترمذيّ، وسمعت عليه في بعض أيام المولد الذي يزري نسيمه بنسيم الرياض، كتاب «الشفاء» للقاضي أبي الفضل عياض، وأخذت عليه في السير المعرّفة بأحوال المصطفى، كتاب الإمام الكلاعي⁽⁵⁾

(1) هو الحسن بن مسعود بن علي اليوسى أبو علي المالكي توفي سنة 1102هـ، انظر: الإفرائي صفوة من انتشر 344.

(2) كتاب الجمال في المنطق تأليف محمد بن ناماؤز بن عبد الملك أبو عبد الله أفضل الدين الخونجي الشافعي توفي سنة 646هـ، انظر الذهبي سير أعلام النبلاء 23 / 228 وابن قنفذ الوفيات 320.

(3) المسماة: عقيد أهل التوحيد والتسديد المرغمة أنف كل مبتدع عنيد.

(4) المسمى: «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» في النحو تأليف محمد بن مالك صاحب الألفية.

(5) هو سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري البلسني الأندلسي أبو الربيع المالكي توفي سنة 634هـ، انظر: ابن فرحون الديباج المذهب 200 وابن خلوف شجرة النور 1 / 180.

المسمى «بالاكتفا»⁽¹⁾، إلى غير ذلك مما لم يحضرنى الآن، مما كنا استفدناه في ذلك الزمان الذي كان -و الله- مورق الأغصان، مونق الأفنان، مؤتلق اللمعان.

زمن مضى وكأنه برق تألّق بالحمى
يا ليته لو دام لي فأعدّ ذلك موسماً
نسأل الله سبحانه أن يجمعنا جمعاً لا يعقبه عنا، وأن ينفعنا بما علمناه نفعا نكتسب
به من خزائن الله تعالى الدائمة غاية الغنى.

[ذكر الشيخ أبي سالم عبد الله محمد بن أبي بكر العياشي]⁽²⁾

ثم إنه ممن حصل لنا بالاجتماع به اتصال بأهل الدرجة العليا، ومنال ممن لهم همم منوطة بالثريا، الإمام الهمام، المرحوم برحمة الملك العلام، المحدث الراوية العلامة، المشارك المتفنن الفهامة، صاحب التآليف المفيدة، والتصانيف المستقيمة السديدة، أوحد أهل زمانه أدبا ودراية، وأجدهم سببا ورواية، الذي استنار بأنوار أهل المشرق، واستأثر بخواص أهل المغرب، فنال من غربهم المغدق، شيخنا الجابر لما كان من آثار السلف من قبيل المتروك والمتلاشي، أبو سالم سيدي عبد الله بن أبي عبد الله سيدي محمد بن أبي بكر العياشي⁽³⁾، -أسبل الله عليه شآبيب الرحمة والغفران، وأرسل عليه يعايب⁽⁴⁾ الرأفة والرضوان-، فأخذت عنه الأربعين النووية، و«الوظيفة الزروقية»⁽⁵⁾، ثم أجاز لي على الإطلاق، وأباح لي الرواية والتحدّث عنه مع رعي حسن الاتّساق،

(1) المسمى الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء.

(2) هو أحد شيوخ علي بن محمد بركة الأندلسي.

(3) عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف، أبو سالم العياشي المالكي توفي سنة 1090 هـ انظر القادري التقاط الدرر ص 212.

(4) هي الأمور التي لا تنقطع المرسله بغزارة.

(5) وهي مجموعة من الأوراد والأذكار يلتزم المرید بقراءتها يوميا أو عدة مرات في اليوم.

قائلا - رحمه الله - بعد كلام هو فيما كتبه لي مسطر، وكل ذلك بأسانيد المذكورة في رسالتنا «اقتفاء الأثر»⁽¹⁾، ثم ذكر لي سند المأخوذين المذكورين المتقدمين فقال:

أما: «الوظيفة» فأروها عن والدي - رحمه الله -، عن سيدي أحمد أذفال⁽²⁾، عن الشيخ بركات بن محمد الخطاب⁽³⁾، عن والده عن الشيخ زروق⁽⁴⁾ - رضي الله عنه -، وأروها أيضا: عن سيدي أبي العباس خديم ضريح الشيخ زروق، عن سيدي محمد بن غلبون، عن سيدي أبي زعامة خديم الشيخ - رضي الله عنه -.

وأما: الأربعون فعن الشيخ إبراهيم الخياري، عن والده الشيخ عبد الرحمن عن الرملي، عن زكرياء عن ابن حجر بسنده. اهـ

ومن خطه - رحمه الله - نقلت وبالله تعالى التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق.

[ذكر الشيخ أبي عبد الله العربي بردلة]⁽⁵⁾

ومن كنا قرأنا عليه جملا من الفنون، واستمطرنا معه ودقها الصيب الهتون، الفقيه النظار العلامة، النبيه الدراكة الفهامة، قاضي الجماعة بحضرة فاس - حرسها الله ونواحيها -، ومتولي ما يرد من الأحكام الشرعية بقاصيها ودانيها، ذو الأخلاق الحسنة، والأعراق الطيبة المستحسنة، الحائز من سيب العلوم كثرة وقلة، شيخنا أبو عبد

(1) واسمه الكامل هو: اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر.

(2) هو أحمد بن محمد أبو العباس الشهير بأذفال الدرعي توفي سنة 1023 هـ، انظر الإفرائي صفوة من انتشار ص 68.

(3) هو بركات بن محمد بن عبد الرحمن الخطاب المكي المالكي توفي سنة 980 هـ انظر التنبكتي نيل الابتهاج 150 وابن مخلوف شجرة النور 279.

(4) هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي أبو العباس المالكي توفي سنة 899 هـ، انظر التنبكتي نيل الابتهاج 130، وابن مخلوف شجرة النور 267.

(5) هو أحد شيوخ علي بن محمد بركة الأندلسي.

الله سيدي العربي بردلة⁽¹⁾، -سده الله وأيده، وأمه بعونه وأدام عليه مدده-، فقرأنا «مختصر الشيخ خليل» مرتين أو ثلاث مرات، وغير ذلك من فنون مختلفات، وروايته عن شيوخ أهل فاس، المستطير نورهم بين الناس، وخصوصا شيخنا السابق الذكر، سيدي عبد القادر الجليل القدر، ومن شيوخه الإعلام، شيخ الإسلام، الذي طار به طائر الاشتهار في الفقه وأثار آثاره، الإمام أبو عبد الله سيدي محمد مياره⁽²⁾، -رحمه الله تعالى، وأفاض عليه رأفته ووالى-.

[ذكر الشيخ حمدون المزوار]⁽³⁾

وقرأنا أيضا بتلكم الحضرة العلية، النيرة الفاسية، على شيخ المعقول في زمانه، ومصباح العلوم العقلية في وقته وأوانه، العلامة المحصل، المشارك المتأصل، الصيب المدرار شيخنا سيدي حمدون المزوار⁽⁴⁾، -رحمه الله تعالى ما توالى الأصيل والإبكار-، «مختصر» السعد التفتزاني، وجملة من متن «التلخيص» في علم المعاني، وسمعنا عليه شيئاً يسيراً من «مختصر الشيخ خليل»، -والله سبحانه ينفعنا بالكثير من ذلك والقليل-،

[ذكر الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن الحاج]⁽⁵⁾

وممن قرأنا عليه أيضا قراءة يسيرة، ذو الشرائل الرائقة العظيمة، أحد البصراء والنقاد، ذو الذهن الوقاد، الفقيه اللوذعي، النبيه الألعبي، المحرز قصب السبق

(1) هو محمد العربي بن أحمد بردلة الفاسي المالكي توفي سنة 1133 هـ انظر القادري التقاط الدرر 320.

(2) هو محمد بن أحمد أبو عبد الله مياره الفاسي المالكي توفي سنة 1072 هـ انظر القادري التقاط الدرر 151.

(3) هو أحد شيوخ علي بن محمد بركة الأندلسي.

(4) هو أحمد المدعو حمدون المزوار بن محمد بن الحاج الزجني الفاسي المالكي توفي سنة 1084 هـ انظر الإفرائي صفوة من انتشر 297 والقادري التقاط الدرر 195.

(5) هو أحد شيوخ علي بن محمد بركة الأندلسي.

في جميع الفنون، والفائز بالحظ الوافر من سائر المتون، الحائز لدرجة الظهور لدى المناظرة والتّحاجّ، شيخنا أبو العباس سيدي أحمد بن الحاج، -أصلح الله أحواله، وأنجح مقاصده وآماله-، فسمعت عليه جملة من «رسالة» ابن أبي زيد القرواني، وأشياء يسيرة من «الألفية» الصحيحة المباني، وسنده في ذلك كله كسند قاضي الجماعة المتقدّم الذكر، وروايتها معا عن الشيوخ العباسيين ليس فيها مدفع ولا نكر، والله سبحانه يتولى هداانا أجمعين، ويجعلنا من السالكين المنهج الأقوم المتبعين.

هذا وإنه حيث تمّ ما أردت إيراده في هذا المكتوب، وأتيت فيه على ما فيه بحول الله الكفاية لطالبه والمطلوب، أو في إنجاز ما وعدت به فيما مضى، وأتحف من كان له الاقتضاء لذلك بحسن القضاء، فأقول له كما قال لي شيخي وسندي، ومعتدي ومستندي، موئل الأكابر والأصاغر، سيدي محمد بن عبد القادر.

وها أنا قد ساعفته على ما طلب من الإجازة، وأذنت له أن يحدث عني، ويروي ويملي، وأجزته فيما قرأه وفي غيره مما أرويه -قراءة أو إجازة- إن صحت الرواية عن مثلي.

ثم أختتم بما ختم لي إجازته، وتمّ لي به منحة وجائزته، وأنشد ائتساء به إذ قال، ومن خطه نقلت فلا تكن متشككا، وأنشد ما أنشده غير واحد من المشائخ متبركا:

أجزتكم مروينا مطلقا وما لنا سائلا أن تتحفوا بدعاء

وكتب العبد الفقير إلى رحمة ربه عبد الله سبحانه، علي بن محمد بركة الأندلسي، -غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين-، في الرابع عشر [14] من شعبان المبارك من سنة أربع وتسعين وألف [1094 هـ / 1682 م]، عرفنا الله خيرها وخير ما بعدها آمين انتهت، وبالحسن ازدهت.

قال كاتبه - لا غاضت من فضل الله مذانبه-: عمدة من ذكر من الأسيخ في هذه الإجازة، التي حوت حقيقة الإبداع ومجازه، بأنوار معارفهم اهتديت، وبأبراد محاسنهم ارتديت، وفي حياض علومهم كرعنت، وفي رياض فنونهم رتعت.

[ذكر الشيخ أبي محمد عبد القادر الفاسي]

فأما البحر الزاخر والطود الشامخ الراسي، الحبر الماهر مولانا أبو محمد سيدي عبد القادر الفاسي، -رضي الله عنه وأرضاه وبديم المغفرة والرضوان أسقاه-، فقد كنت أجلس لسماعه متبركا، أيام كنت في أحلام الصبا مرتبكا، وأزور مجلسه العالي، وجيد نجابتي غير حالي، وأتيمن في ابتداء المتون، بخط يده الميمون، -أسبل الله عليه من شآبيب الرحمة كل هتون-.

[ذكر أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي]

وأما نجله الكريم، الذي تنجلي بغرته الواضحة دياجير الليل البهيم، الفاضل الأجدد، شيخنا العلامة أبو عبد الله سيدي محمد، لازال ذهنه الذي توقد، يحلّ من دقائق المعاني كل ما تعقد، فقد ملكته مقاد ملاكي، وأنا لسلاح النجاة شاكي، فاغترفت من بحار نحوه، ما اعترفت بزلال صفوه، والتقطت من شذور بيانه وفرائد بديعه، ما باهيت القلائد بجمانه وترصيعه، وهو معتمدي في حلّ ما استصعب فصمه من عرى السرائر، وأشكل فهمه على النقاد ذوي البصائر، لازال مكانه خطيرا، وسناه مستطيرا.

[ذكر أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي]

وأما حبر الأحبار، وجهينة⁽¹⁾ الأخبار، وزين القرى والأمصار، العديم النظير في سائر الأقطار، من أسعد بمطالع أنواره كواكب نحوسي، أعراني من ملابس بوسي، وألحفني بمطارف المسرات عن حنادس عبوسي، مولانا أبو علي سيدي الحسن بن

(1) عند جهينة الخبر اليقين: يضرب هذا المثل في معرفة الأخبار، انظر الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب / 2 / 169.

مسعود اليوسي، أطال الله مدته، وحى من نوائب الحدثان حوزته، فقد ورد في شوال سنة خمس وتسعين [1095 هـ / 1683 م] هذه الحضرة، وأعارها بقدمه ابتهاجا ونضرة، وذلك بعد الفراغ من هذه الأوراق العذبة المساغ، فأقام بها أياما ونفع بها لكل ظمآن إلى رؤيته أواما، وأعاد نيران الجوانح على الأفئدة بردا وسلاما، فلازمت منه بحرا زاخرا، ونظمت من نفيس فوائده لؤلؤا فاخرا، وتأثلت من أسراره في تلك المدة، ما أعدده لنوائب الأيام عدّة، ولما ظفرت بالاجتماع به، وأبان لي عن وجوه خرائد الأدب وعربه، سألته أن يشفع لي ذلك، بطريقة شيخه الذي سهل لمريد الحقيقة المسالك، وجلا بأنوارها دياجير الخطب الحالك، من ليس لفضائله حاصر، المولى العلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن ناصر⁽¹⁾، -قدس الله روحه، وبرد ضريحه-، فأظنني -رضي الله عنه- لغد ذلك اليوم، فبات سهر يذود عن ورود جفوني سوام النوم، شغفا بمنار تلك الطريقة، وكلفا بمجاز تلك الحقيقة، فخاطبته بقولي، واضعا سهر ليلي.

[قصيدة طلب الطريقة الناصرية من شيخه اليوسي]

عن نور هديك ثغر الدهر مبتسم	يا واحدا وردت من بحرهم
هشت للقياك فاس إذ حلت بها	وفاس لولا سنا وجودكم عدم
فزهوها بك يا مولاي منتظم	وأنسها بك يا مولاي ملتئم
أبهجت عبدك إذ وافاك مكتئبا	إن الجوى بدنو منك ينحسم
وافاك يطلب نهج الناصرية إذ	في الناصرية نصر ليس ينصرم
وأهلها رغبة ما كان أنفسها	لمثلها تستعد الأينق الرسم
أمهلته لغد فبات في سهر	ينجده الوجد إذا أعوزه الحلم
يخاطب الليل كي تفتد دهمته	عن ثغر صبح فيبدو للمنى علم

(1) هو محمد بن محمد بن أحمد ناصر أبو عبد الله الدرعي الاغلائي المالكي توفي سنة 1085 هـ انظر القادري التقاط الدرر 196. وابن مخلوف شجرة النور 313.

يا عنبر الليل كافور الصباح أعد قد كاد يلحقني من طولك الهرم
إن لم تجد لي بصبح صحت من أسف واحرّ قلباه ممن قلبه شيم
لا زلت مقباس علم يستضاء به إذا بدت ظلمات الجهل تزدهم
فساعدني - رضي الله عنه - في إنجاز مرغوبي، وقضاء مطلوبي، ولم أزل طائفا
بكعبة أنواره، وقاطفا ما راق من أزاهر العلم ونواره، إلى أن ودّع راحلا، وأعاد بستان
الأمانى قاحلا.

[عودة إلى ذكر شيخه العربي بردلة]

وأما شيخنا الذي أنهله العلم وعلّه، وشغف بالدؤوب على التفتن وما ملّه، قاضي
الْحَضْرَة، أبو محمد سيدي العربي بردلة، - أعانه الله على طود الشريعة الذي قلّه -، فهو
الذي سهل لي المجاز، إلى معرفة الحقيقة والمجاز، ولولا فهمه الصحيح، ما فرّقت بين
التّجريد والتّرشيح، والكناية والتصريح، ولولا حسام ذهنه المنتضي، ما ميزت الحال
من المقتضى، لا زال يفتح المغالق بفهمه، ويشرح الدقائق بعلمه.

[عودة إلى ذكر شيخه أبي البركات أحمد بن الحاج]

وأما شيخنا ذو النور الوهاج، الذي فاض بحر معارفه وماج، أبو البركات سيدي
أحمد بن الحاج⁽¹⁾، لازالت أنواره تسرج كل داج، فهو الذي أخرجني من الظلمات إلى
النور، وألحفني بملابس السنا عن حنادس الديجور، وأولاني مقاليد الفنون، وأجناني
أماليد⁽²⁾ روضها الهتون، وطوقني قلائد شعره، الذي يبدأ المغمور بذكره، وهو ما
راجعني به عن قطعة.

(1) هو أحمد بن العربي أبو العباس المعروف بابن الحاج الفاسي المالكي توفي سنة 1109 هـ، انظر القادري
التقاط الدرر 273.

وابن مخلوف شجرة النور 1 / 327.

(2) أي: منحني جناها الناعم من روضها الهتون.

[قصيدة للشيخ أبي البركات أحمد بن الحاج مجيباً للمؤلف]

أفائق أربابِ البلاغة في الشعر وسابق فرسان الفصاحة في العصر
وممتطيا من ذروة المجد رتبة سمت بك في أفق المكارم والفخر
جلوت علينا من محاسنك التي سموت بها نحو السماكين والنسر
عروسا من الأبيكار ذات بدائع تفننت فيها في أفانين من سحر
فتاهت وباهت وازدهت بجهاها وحيّت بمعطار الشذا أرج النشر
صبوت لها من بعد أن شاب مفرقي وقد زدت فوق الأربعين على عشر
ولا بدع أن الحسن يأخذ مهجتي وأن الهوى العذريّ ملكته أمري
وصار لقلبي لومها وعتابها ألدّ من الماء القراح لذي حرّ
وأقررت أني قد بخست حقوقها لترضى وان كنت البريء بلا نكر
فما سمعت أذناي عذب البحور تسد تقي وهي ذات الفيض من ثمّد مرّ
عليك أخي مني أزكى تحية تكون كعشر العشر من واجب الشكر
ودم في سرور رافلا ثوب رفعة ودهرك طلق الوجه يلقاك بالبشر

فبِحُلاه طرزت أشعاري، وإليه زففت أبقاري، من بنات أفكارِي، فمن ذلك ما
مدحته به وأنشد بين يديه، يوم ختمنا مختصر خليل عليه، وذلك في يوم الأحد عقب
صفر سنة ثلاث وتسعين وألف [1093 هـ / 1682 م] وهو:

[قصيدة للمؤلف في مدح أبي البركات أحمد بن الحاج]

لي الله قلبي كم يذوب من الذكرى وكم كبدي تفري وكم عبرتي تدرى
حنيني لمن قد شط عني مزارهم أتاح لي الأشجان من حيث لا يدرى
فيا دارنا الغرا على الربوة الخضرا لدى الصدفين المشرفين على الحمرا

سقاك رذاذ الغيث من بعد وبله
وحيثك أنفاس الأزاهر موهنا
ذكرت بمغناك الكريم معاهدا
ليالي خدني كل يئود أغيد
بيت يعاطيني سلاف رحيقه
إذ الدهر دهر والزمان مساعد
ولله ليل في رباك سهرته
كساه ضياء البدر لامة فضة
فشبهه به نهر المجرة حله
أدرنا عليه الراح راح مسرة
وأرخی على ضوء النهار ستوره

ومنها:

كأن الدراري الشهب في كبد السما
كان سهيلا إذا تآلق مفردا
قوارير بلور على لجة خضرا
صريع هوى قد نال من حبه هجرا
وهيهات أما الصبر عنها فلا صبرا
يريد الثريا والبعاد يعوقه

ومنها:

كأن ضياء البدر والشهب حوله
يكاد يريب الجاهلين شعاعه
سنى شيخنا ابن الحاج في حلقة الإقرا
إذا لمحو أنواره في الدجا تترى
أبدر بدا أم بارق قد سرى مسرى
دجى الوهم فانزاحت دياجيره تفرى
ويا وهم ما أدجاك في عين الورى
يقولون جهلا إذا أضاء معالما
بلى إنه نور الهدى لاح في الدجى
ويا وهم ما أدجاك في عين الورى

تجلت به غيد العلوم عرائسا
إمام حباه الله علما وسؤددا
إذا استصعبت غر المعاني لمعشر
وروضها حتى تذلل صعبيها
همام تردى بالصيانة والتقوى
صبور على هجر الألى ساء طبعهم
مصيخ لمن أبدى إليه معاذرا
تأبى عن الأقدار لا متهولقا
فلو بلغاء العصر راموا خصالها
فإني لمغمور الحشى وهو واحد
وهبني امرئ القيس بن حجر وخاله
وهاك عروسا من بنيات خاطري
شريفة قدر لم أجد كفوا لها
رشوفا أنوفا عذبة القول غادة
فلا تنتقدها بالملام فإنني
فإن الذي يهدي إلى مصقع شعرا
فشاهدها من كان لا يبصر البدرا
وخوله حلما وأعظم به فخرا
وقد وجموا قالت طلاقته بشرا
وخاطبها سرا فدانت له جهرا
له خلق زفت له الحمد والشكرا
صفوح على ذي هفوة أوجبت نغرا
حليم على الجهال يبدي لهم بشرا
حوى هما ما نال أيسرها كسرى
لما بلغوا منها ولو كثروا عشرا
يحيط بها نظما ويودعها شعرا
أأقدر أن أحصي الكواكب والقطرا
تطاول خودا ألبست حلة حمرا
سواك أبا العباس فاهنا بها بكرا
معطرة أرجو القبول لها مهرا
أحملها بيتا يكون لها عذرا
نظير الذي يهدي إلى طيبة تمرا

وها أنا غائص في بحره الزخار، آناء الليل وأطراف النهار، -أبقاه الله مطلع الأنوار،
ومنبع الأسرار-، ولنقصر عنان الكلام، بقدر الطاقة في هذا المقام، مخافة أن يقال: مادح
نفسه يقرئك السلام، وتنزيها لذكر هؤلاء الأعلام، على سبيل الاستطراد والإمام،
مع أن الخروج عن المقصود، ليس هو في كل مقام بمحمود، ولولا ذلك لصدحت
بمفاخرهم التي ملأت الأغوار والنجود، ورقمت بها المهارق رقم البرود، وإذا كثرت

بحول الله اطلاقى، وغزر ماء نقاعى، فأحلين بمحاسنهم عاطل رقاعى، ولئن رمت قرائحى، فلاقلدنيهم أطواق مدائحي، وأبوح في فضلهم بما بين جوانحي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي المصطفى الكريم، وعلى آله وأصحابه الواضحين نجوما في ديجور الخطب البهيم، صلاة وسلاما دائمين لا ينقطع نشرهما ولا يريم، ما فاح شميم، ونم بأسرار الأزهار نسيم.

قال كاتبه، جمحت إليه مواكب الإحسان ومعاقبه، قد انتهى والحمد لله ما قصدته، وازدهى بدر تمامه كما أردته، وإذا تجلّى نوره للعيان، ونشقت نشر أزاهر روضه المونق الأفنان، فلا بأس أن أعنونه: «بنشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان، من فضلاء أكابر الأعيان».

وكان الفراغ من تسويده صبيحة يوم الخميس سابع عشر [17] جمادى الآخرة من سنة خمس وتسعين وألف [1095 هـ / 1683 م] بمنزلي من مولانا إدريس - نفعنا الله به - من فاس، - أبقاها الله عطرة الأنفاس، طاهرة من أجناس الأرجاس، بمنه وطوله -.

انتهى نسخها بحمد الله تعالى على يد مسودها ومنشئها أفقر العبيد، إلى ذي العرش المجيد، المذنب المأزور، المشفق من خلله المأثور، محمد بن قاسم بن محمد الفاسي عرف بابن زاكور، كان الله له ولوالديه ولسائر المسلمين صبيحة يوم الخميس لثمان خلون [8] من رجب سنة خمس وتسعين وألف [1095 هـ / 1683 م] - عرفنا الله خيرها، ووقانا ضيرها -.

قائمة المصادر والمراجع

1. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 2، بيروت 1980 م.
2. اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، عمر بن قينة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
3. الباجي، سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب، أبو الوليد (ت 494هـ)، المتتقى شرح موطأ مالك، تحقيق د: محمد محمد تامر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر 2004 م.
4. المسعودي، علي بن الحسين (ت 346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق مصطفى السيد بن أبي ليلى، المكتبة التوفيقية، القاهرة مصر، 2003 م.
5. ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، (ت 852هـ) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل بيروت، 1993 م.
6. ابن الحمصي، أحمد بن محمد بن عمر الأنصاري، (ت 934هـ)، حوادث الزمان ووقيات الشيوخ والأقران، تحقيق عبد العزيز قياض حرفوش، دار النفائس بيروت 2000 م.
7. ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ) إنباء الغمر بأنباء العمر، دار الكتب العلمية ط 2، 1986 م.
8. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت 1992 م.
9. ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون، (ت 799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان دار الكتب العلمية ط 1، بيروت 1996 م.

10. المحبّي، محمد أمين بن فضل الله الدمشقي، (ت 1111هـ)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر بيروت.
11. الإفرائي، محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصّغير، (توفي ما بين 1152هـ / 1154هـ) صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق د. عبد المجيد الخيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، ط 1، الدار البيضاء المغرب، 2004م.
12. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، (ت 1068هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.
13. ابن قنفذ، أحمد بن حسن بن علي الخطيب القسنطيني، (ت 809هـ)، تحقيق عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة ط 3 بيروت 1980م.
14. ابن مخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت.
15. القادري، محمد بن الطيب، (ت 1187هـ)، النقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الأفاق الجديدة ط 1، بيروت 1983م.
16. الداودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، (ت 945هـ)، طبقات المفسرين، تحقيق عبد السلام عبد المعين، دار الكتب العلمية، ط 1 بيروت 2002م.
17. الحفناوي، محمد بن أبي القاسم الديسي بن إبراهيم الغول، (ت 1361هـ)، تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة، ط 2 بيروت 1985م.
18. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت 748هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ط 9 بيروت 1993م.
19. ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر، (ت 774هـ)، البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق د. أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث ط 6 القاهرة 2002م.
20. الحفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، (ت 1069هـ)، ریحانة الألبا وزهرة الحياة الدّنيا، تحقيق أحمد عناية، دار الكتب العلمية ط 1 بيروت 2005م.

21. ابن المفتي، ابن حسين بن رجب شاوش، (ت بعد 1166 هـ)، تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، تحقيق فارس كعوان، بيت الحكمة ط 1 الجزائر 2009 م.
22. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، ط 3 بيروت 1978 م.
23. الزخشي، أبي القاسم جار الله محمد بن عمر، (ت 538 هـ)، المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية ط 2 بيروت 1987 م.
24. الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري، (ت 429 هـ) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق د. قصي الحسين، دار ومكتبة الهلال ط 1، بيروت 2003 م.
25. كحالة، محمد رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
26. السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، (ت 562 هـ)، الأنساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الجنان ط 1 بيروت 1988 م.
27. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت 748 هـ)، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
28. المناوي، زين الدين عبد الرؤوف، (ت 1031 هـ)، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي الرياض، ط 1 السعودية 1988 م.
29. ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، (ت 354 هـ)، الصحيح، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ط 2 بيروت 1993 م.
30. ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن خاقان، (ت 528 هـ)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق مديحة الشراوي، مكتبة الثقافة الدينية ط 1 مصر 2001 م.
31. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، (ت 275 هـ)، السنن، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
32. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت 275 هـ) السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
33. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، (ت 303 هـ)، السنن (المجتبى)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط 2 حلب 1986 م.

34. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، (ت 241هـ)، المسند، مؤسسة قرطبة، مصر.
35. مالك بن أنس، أبو عبد الله الأصبحي، (ت 179هـ)، الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
36. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، (ت 405هـ)، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط 1 بيروت 1990م.
37. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، (ت 256هـ)، الصحيح، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير اليمامة، ط 3 بيروت 1987م.
38. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت 261هـ)، الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
39. القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي السبتي، (ت 544هـ)، ترتيب المدارك، تحقيق د. أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت.
40. الفاسي، محمد بن أحمد المكّي أبو الطيب، (ت 832هـ)، ذيل التقييد، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط 1 بيروت 1410هـ.
41. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي، (ت 771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو والدكتور محمود الطناحي، القاهرة 1976م.
42. ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي، (ت 1089هـ) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.
43. العيدروس، عبد القادر بن عبد الله الحسيني الحضرمي اليمني، (ت 1038هـ)، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق د. أحمد حالو، ومحمود الأرنؤوط، وأكرم البوشي، دار صادر، ط 2 بيروت، 2002م.
44. الجليلي، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994م.
45. جون ب. وولف، الجزائر وأوروبا، ترجمة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 1986م.

46. النَّبَاهِي، علي بن عبد الله بن محمد بن الحسن الجدامي المالقي، (ت 792هـ)، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط 1 بيروت، 2006م.
47. الزركلي، خير الدين، (ت 1976م)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط 5، بيروت 1980م.
48. بالحميسي، مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الجزائر 1979م.
49. كنون، عبد الله، النبوغ المغربي في الأدب العربي، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت 1975م.
50. محمد بن تاويت، الأدب المغربي، دار الكتاب اللبناني، ط 2 بيروت 1969م.
51. حمدون، محمد الطالب بن حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمي الفاسي، (ت 1273هـ)، رياض الورد فيما انتمى إليه هذا الجوهر الفرد، تحقيق د. جعفر ابن الحاج السلمي، تطوان، المغرب 1999م.
52. ابن حمادوش، عبد الرزاق الجزائري، الرحلة، تحقيق د. أبو القاسم سعد الله، الجزائر 1983م.
53. الفاسي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر، (ت 1179هـ)، المورد الهني بأخبار الإمام مولاي عبد السلام الشريف القادري الحسني، تحقيق عبد الرحمن سعيدي، دار الكتب العلمية، ط 1 بيروت 2004م.
54. الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، (ت 1382هـ)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط 2 بيروت 1982م.
55. الكتاني، عبد الكبير بن هاشم، (ت 1350هـ)، زهر الآس في بيوتات أهل فاس، تحقيق د. علي بن المنتصر الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، ط 1 المغرب 2002.
56. الكتاني، محمد بن عبد الكبير بن هاشم، (ت 1362هـ)، تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس فيما غفل عنه صاحب زهر الآس في بيوتات أهل فاس، تحقيق د. علي بن المنتصر الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، ط 1، المغرب 2002.
57. القادري، محمد بن الطيب، (ت 1187هـ)، نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1980م.
58. ابن زاكور، محمد بن قاسم بن محمد أبو عبد الله الفاسي، (ت 1120هـ)، تزيين قلائد العقيان بفرائد التبيان، تحقيق بوتشي السكيوي، المغرب 2003م.

59. ابن زاكور، محمد بن قاسم بن محمد أبو عبد الله الفاسي، (ت 1120 هـ) الصنيع البديع في شرح الحلية ذات البديع، تحقيق بشرى البداوي، الرباط، ط 1، المغرب 2002 م.
60. أحمد الطريقت أحمد، الكتابة الصوفية في أدب التستاوتي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب 2003 م.
61. التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد بن أبي بكر بن عمر الصنهاجي، (ت 1036 هـ) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد عبد الله، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ط 1 ليبيا 1989 م.
62. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711 هـ)، لسان العرب، دار صادر ط 4 بيروت 2005
63. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت 817 هـ)، القاموس المحيط، دار الفكر، ط 1، بيروت 2003 م.
64. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت 911 هـ)، طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية ط 1 بيروت 1403 هـ.
65. الغزي، محمد بن محمد بدر الدين، (ت 1061 هـ)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، دار الأفاق الجديدة، ط 2 بيروت 1979 م.
66. د: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، ط 1 بيروت 1969 م.
67. د: جلال يحيى، تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت لبنان 1981 م.

68. Provençal Lévi, *Les Historiens des Chorfa*, Paris, 1922.

69. Léon Guérin, *Histoire Maritime de France*, Paris, 1851.

فهرس الآيات

- ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: من الآية 9) 61
- ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (البقرة: من الآية 264) 91
- ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: 11) 61

فهرس الأحادس

- إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع 62
- إذا أبق العبد من مواليه، لم تقبل له صلاة حتى يرجع إليهم 91
- إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب فقد لغوت 95
- لا صلاة إلا بطهور 89
- لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب 90
- لا صيام لمن لم يبيت 90
- لا نكاح إلا بولي 90
- من أتى عرّافا فسأله عن شيء فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين صباحا 91
- من باع جلد أضحيته فلا أضحية له 91، 88
- من شرب الخمر فسكر، لم تقبل له صلاة أربعين صباحا 91
- من لغا فلا جمعة له 96، 95، 91

فهرس المواضيع

9	تميهدل فهرس المواضيع.....
13	ترجمة المؤلف.....
13	اسمه.....
13	كنيته.....
13	لقبه.....
13	نسبته ونسبه.....
14	ولادته.....
16	نشأته.....
20	شيوخه.....
21	تلامذته.....
21	أقوال العلماء فيه.....
23	مؤلفاته.....
27	وفاته.....
27	تنبيه.....
28	أدبه.....
28	شعره.....
28	نشره.....
28	كتابه الرحلة.....

29	أهمية رحلة ابن زاكور.....
32	عملنا في الكتاب.....
39	نص الرحلة.....
40	وصف لمدينة الجزائر ومدحها.....
41	ذكر أبي حفص عمر بن محمد المانجلاتي الجزائري.....
42	مدح المؤلف لشيخه عمر بن محمد المانجلاتي.....
45	نص إجازة المانجلاتي للمؤلف.....
47	ذكر الشيخ علي بن عبد الواحد السجلماسي الأنصاري.....
48	ذكر الشيخ سعيد بن إبراهيم قدّورة الجزائري.....
49	ذكر أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري.....
51	قصيدة للمؤلف في مدح محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري.....
54	المؤلف يعتذر ويمدح محمد بن عبد المؤمن الجزائري.....
55	نص إجازة أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري للمؤلف.....
58	أرجوزة لمحمد بن عبد المؤمن في العقائد والعبادات.....
62	نص إجازة الشبراملسي لمحمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري.....
69	ذكر أبي عبد الله محمد بن سعيد بن إبراهيم بن حمودة الجزائري عرف بقدورة.....
70	قصيدة للمؤلف في استعطافه ومدحه.....
71	إجازة أبي عبد الله محمد بن سعيد بن إبراهيم قدورة للمؤلف.....
71	ذكر أبي عبد الله ابن خليفة.....
73	أبيات للمؤلف في مدح الشيخ ابن خليفة.....
77	خروج المؤلف من الجزائر وتأسفه على فراقها.....
77	ذكر ابتداء سفره إلى تطوان.....
79	ذكر حلول المؤلف بتطوان، ولقائه بالشيخ أبي الحسن علي بن محمد بركة.....

- 80 قصيدة للمؤلف في الحنين والتشوق
- 82 قصيدة للأديب أبي الحسن الحاج علي مندوصة الأندلسي
- 83 ذكر الأديب أبي الحسن الحاج علي مندوصة الأندلسي
- 84 مدح المؤلف لأبي الحسن سيدي الحاج علي بن محمد بركة
- 87 رجز لمحمد بركة عدد فيه المواضع التي يتعين فيها انفصال الضمير
- 88 قصيدة لمحمد بركة سائلا بها محمد الفاسي عن معنى حديث
- 89 جواب أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي بقصيدة
- 90 شرح أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي لقصيدته
- 92 تعليق أبي الحسن الحاج علي بن محمد بركة على جواب محمد الفاسي
- 93 رد محمد الفاسي على تعليق أبي الحسن علي بن محمد بركة
- 96 قصيدة الشيخ علي بركة في مدح أبي عبد الله الفاسي
- 97 استفتاء المؤلف لعلي بن محمد بركة حول القصر والإتمام
- 98 جواب علي بن محمد بركة للمؤلف
- 99 إجازة علي بن محمد بركة الأندلسي للمؤلف
- 103..... ذكر الشيخ عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي
- 104..... ذكر الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي
- 105..... ذكر الشيخ أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي
- 107..... ذكر الشيخ أبي سالم عبد الله محمد بن أبي بكر العياشي
- 108..... ذكر الشيخ أبي عبد الله العربي بردلة
- 109..... ذكر الشيخ حمدون المزوار
- 109..... ذكر الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن الحاج
- 111..... ذكر الشيخ أبي محمد عبد القادر الفاسي
- 111..... ذكر أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي

111 ذكر أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي
112 قصيدة طلب الطريقة الناصرية من شيخه اليوسي
113 عودة إلى ذكر شيخه العربي بردلة
113 عودة إلى ذكر شيخه أبي البركات أحمد بن الحاج
114 قصيدة للشيخ أبي البركات أحمد بن الحاج مجيباً للمؤلف
114 قصيدة للمؤلف في مدح أبي البركات أحمد بن الحاج
119 قائمة المصادر والمراجع
127 فهرس الآيات
131 فهرس المواضيع

الناشر: المعرفة الدولية للنشر والتوزيع - الجزائر
حي راديوز عمارة أ رقم 06 الحراش الجزائر

e-mail: maarifaintern@hotmail.fr

website: www.algerianbooks.com

هاتف : 0555025271

الإيداع القانوني : 2011-2729

ردمك: ISBN 978-9931-347-08-8

جميع الحقوق محفوظة

طبعة خاصة

2011 م



صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة

في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011

من ذخائر التراث المغربي

ثلاث رحلات مغربية
رحلة ابن زاكور الفاسي المتوفى
(1120هـ / 1708م)

المسألة

نشر أزهري البستان فيمن أجازني
بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان

رحلة

الشيخ أبي حفص عمر الأكبر بن عبد القادر
التتلائي التواتي الجزائري (المتوفى: 1152هـ / 1739م) إلى فاس

رحلة

عبد الرحمن بن إدريس
التتلائي التواتي الجزائري (المتوفى: 1233هـ / 1817م) إلى الجزائر العاصمة

تحقيق

مصطفى ضيف

محفوظ بوكراع